دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة

— ١١ —

# أربعة أدباء معاصرون

ابراهيم اليازجي ولي الدين يكن
مصطفى لطفي المنفلوطي سليمان البستاني

مع تمهيد مفصل في طلائع النهضة الأدبية ومظاهرها

تأليف

عمر فروخ

دكتور في الفلسفة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

الطبعة الثانية
بيروت
١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م

منشورات مكتبة منيمنه - بيروت - المعرض

دراسات قصيرة في الأدب والتاريخ والفلسفة

— ١١ —

# أَرْبَعَةُ أُدَبَاءَ مُعَاصِرُون

## ابراهيم اليازجي ولي الدين يكن
## مصطفى لطفي المنفلوطي سليمان البستاني

مع تمهيد مفصل في طلائع النهضة الأدبية ومظاهرها

تأليف

عمر فروخ

دكتور في الفلسفة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

الطبعة الثانية

بيروت

١٣٧١ هـ — ١٩٥٢ م

منشورات مكتبة منيمنة - بيروت - المعرض

الطبعة الثانية
٢ / ٢٠٠٠ / ٥ / ٥٢



بيروت
شعبان ١٣٧١
ايار ١٩٥٢

## الكلمة الاولى

### الادباء المحدثون

ليس هؤلاء الادباء الاربعة الذين اعالج نثرهم في الاكثر وشعرهم في الاقل على الصفحات التالية ابرعَ المحدثين في الادب ولا اشدّ الادباء المحدثين اثراً في النهضة الادبية المعاصرة . ولكن هي حاجة مدرسية، في الاصل، دعت الى ان نخص اربعة من الادباء بهذه الاوراق القليلة .

وانا اريد ان انبه على امر مهم في رأيي ، هو انه قد يسبق الى وهم قارىء هذه الصفحات ان النهضة الادبية المعاصرة قد قامت على اكتاف هؤلاء . لا ، فان واحداً من هؤلاء قد خيم الخمول عليه منذ زمن وخاب ادبه بمعناه ومبناه في فرض نفسه على تاريخ العرب الادبي . وهنالك ثان كان من مشاهير المشتغلين في السياسة ولقد قام بعمل ادبي جبار بكل معني الكلمة . ولكن اثره الادبي مفقود في كل مكان .

بقي اثنان ، كلاهما منشىء : احدهما حاول تحرير الاسلوب الادبي من الشوائب ورمى الى ادخال عنصر العلم في الكتابة وقد نجح . واما الثاني فقد طبع الاسلوب الحديث بطابعه ، وليس في قراء العربية من يستطيع ان يزعم انه لم يقرأ له ، ولا في كُتابها من لم يحتج الى التخرج في اسلوبه والتلقي عن بيانه .

٢٠ / ٤ / ٤٤

ع . ف

## الكلمة الثانية

في هذه الطبعة الثانية توسيع يسير في المقدمة خاصة، وفيها زيادة محدودة لا تزال في نطاق حاجة طلاب الادب .

ويجب ان نلاحظ ان اختلاف الآراء في مقام الادباء المعاصرين يكون عادة — في كل عصر — شديداً . وإن من اسباب ذلك مثلا ان خصائصهم لا تكون قد درست بعد دراسة وافية ، ولان الحكم على المعاصرين يخضع في اكثر الاحيان للهوى.

على ان هذه الدراسة ليست بحثاً من بحوث الاختصاص الضيق حتى يأخذ صاحبها نفسه بتعيين مقام كل اديب بالاضافة الى ادباء عصر كلهم ثم الى الادباء الذين سبقوا عصره ايضاً . ولكن يكفي ان يذكر الحقائق والنماذج ثم يترك للاعصر التالية ان تحكم على كل اديب بالخلود او بالنسيان .

وهنا احب ان ابديَ هذه الملاحظة :

اذا انا لم ابالغ في التعصب لاديب فليس معنى ذلك انني لا اقدره قدره . يجب ان نفهم نحن الادب المعاصر ، اما الحكم على رجاله فشيء ليس في وُسعنا نحن الآن ولا هو غايتنا .

١٩ رجب ١٣٧١

١٤ نيسان ١٩٥٢

ع . ف

# الادب العربي الحديث

اذا اعتبرنا الادب بخصائصه بدا لنا بوضوح ان العصر الحديث للادب العربي لم يبدأ الا مع القرن الثالث عشر الهجري ( التاسع عشر للميلاد ) . لقد كان الشرق قبل ذلك الحين في معزل عن الحركات العالمية في السياسة والثقافة ، فلا غرو ان يكون في معزل عن الحركة الادبية ايضاً .

وكان السائدَ على الادب العربي الى ذلك الحين خصائصُ الادب العباسي في الاغراض والاسلوب، مع شيء من الاغراق في الصناعة اللفظية خاصة ( الجناس والطباق) وفي الاحاجي ايضاً. على ان ادباء هذا الدور كانوا يقلدون مظاهر الادب العباسي تقليداً ، وقلّ منهم من جنح الى ابتكار. وليس من السهل ان نصدر حكما على هذه الحقبة التي تمتد تسعة قرون قبل ان ندرسها درساً واسعاً عميقاً . الا ان هذه الحقبة ، وان قل فيها المشاهير الكبار من اصحاب الانتاج الوجداني في الادب، كالكتاب والشعراء خاصة ، فانها قد حفلت باعلام الفكر العربي في الفقه والفلسفة والتاريخ واللغة والجغرافية والاجتماع والتصوف . ويحسن ان نقسم هذه الحقبة ثلاثة اقسام :

١ — عهد الحروب الصليبية وهو يمتد نحو قرنين من سنة ٤٩١ الى سنة ٦٩٠ للهجرة ( ١٠٩٨—١٢٩١ م) .

٢ — العهد المغولي وهو يمتد نحو قرنين آخرين من انتهاء الحروب الصليبية (١) الى الفتح العثماني سنة ٩٢٢ هـ ( ١٥١٦ م ) .

٣ — العهد العثماني ، وهو ينقسم دورين :

(أ) دور المجاميع في الجغرافية والتاريخ والادب والطب ... وهو يمتد ثلاثة قرون حتى مطلع القرن الثالث عشر للهجرة ( التاسع عشر للميلاد ) .

---

(١) العهد المغولي يبدأ فعلا قبل انتهاء الحروب الصليبية ، ولكن خصائص الادب تقضي بان نترك عهد الحروب الصليبية كاملا .

(ب) دور الانتاج الوجداني المستجد في الشعر والنثر خاصة . ويعتبر هذا الدور ممهداً لاستبحار الادب العربي الحديث.

## الحروب الصليبية والادب العربي

تعد الحروب الصليبية حداً فاصلا في تأريخ الادب العربي، فلقد كانت تلك الحروب كارثة على الشرق فمحت كثيراً من آثار عمرانه ومن معالم حضارته ثم قضت — فيما قضت عليه فيه — على النهضة الادبية خاصة ،لولا قبس ضئيل بقي من عهد الزهو في العصر الادبي . ومع ذلك فقد شهد هذا العهد اعاظم المفكرين في الاسلام ونفراً من كبار الادباء والشعراء .

فمن مشاهير الشعراء في هذا الدور في القرن الهجري السادس (الثاني عشر الميلادي) ابن خفاجه الاندلسي وسبط بن التعاويذي العراقي ثم الارّجاني والابيوردي الفارسيين ثم ابن قلاقس المصري . اما القرن الهجري السابع فقد حفل بشعراء عظام منهم ابن الساعاتي وابن سناء المُلك وكمال الدين بن النبيه والحاجري وعمر بن الفارض اعظم شعراء التصوف في العالم بعد جلال الدين الرومي ، ثم محيي الدين بن عربي الصوفي المشهور وكان ناثراً شاعراً ، ثم جمال الدين بن مطروح ثم ابن سهل الاندلسي ثم البهاء زهير .

واما غير الشعراء في هذا الدور فكانوا اعظم اثراً واوسع شهرة امثال الزمخشري الفقيه المفكر، والجواليقي احد ائمة الادب، والسمعاني صاحب كتاب الانساب، ثم عز الدين بن الاثير وعمارة اليماني وابن عساكر الدمشقي واسامة بن منقذ وعبد الواحد المراكشي المؤرخين ، ثم الانباري وكان اماماً في الادب ، ثم القاضي الفاضل صاحب الرسائل ، ثم ابن جبير الرحالة المشهور وابو الفرج بن الجوزي المحدث المؤرخ .

ويأتي في هذا الدور ايضاً ابو الفتح البنداري الذي نقل شنهامة الفردوسي من الفارسية نثراً لا نظما ، ثم ياقوت الحموي صاحب معجم الادباء ومعجم البلدان ، وهما

قاموسان كبيران في الادب وفي الجغرافية. ثم هنالك ضياء الدين بن الاثير الاديب الناقد ، ثم ابن ابي الحديد شارح كتاب نهج البلاغة للامام علي ( وفي هذا الشرح كثير من الآراء الادبية والفلسفية ) ثم جمال الدين بن القفطي صاحب تراجم الاطباء والفلاسفة ثم سبط بن الجوزي الفقيه المحدث والمؤرخ . وفي هذا الدور ظهر ابن باجه وابن طفيل وابن رشد وفخر الدين الرازي اعظم مفكري الاسلام ومن اعاظم المفكرين في العالم كله .

## العهد المغولي

في هذا الدور اتسع العلم والادب في مصر والشام خاصة واستبحر التأليف في العلوم السياسية والادارية والحربية وفي النقد التاريخي ، وكثرت الموسوعات في الادب والتاريخ والجغرافية واللغة . على ان الادب الخالص من النثر والشعر كان قليلا ، ومع ذلك فان هناك نفراً من الشعراء اشتهروا شهرة كبرى منهم التلعفري وعفيف الدين التلمساني والشاب الظريف والبوصيري صاحب البردة والهمزية النبوية ( ت ٦٩٥ هـ ) ثم عمر بن الوردي (ت ٧٤٩ هـ ) وصفي الدين الحلي (ت ٧٥٠هـ).

واتسعت الكتابة في الجغرافية والتاريخ والتراجم خاصة اتساعاً كبيراً مع النقد والتحليل ، وفي علم الاجتماع والادارة ، نعد من المؤلفين في هذه الفروع : الكمال بن العديم الحلبي ( ت نحو ٦٦٠ هـ ) وابن ابي اصيبعة صاحب طبقات الاطباء والقزويني صاحب عجائب المخلوقات في الفلك والجغرافية الطبيعية عند العرب ، ثم ابا الفداء الحموي الجغرافي المؤرخ وشمس الدين الذهبي صاحب الطبقات وابن فضل الله العمري صاحب مسالك الابصار في مسالك الامصار في التاريخ والجغرافيه ثم ابن الطقطقى صاحب كتاب الفخري في التاريخ . وهنالك ابن خلكان وصلاح الدين الصفدي وابن شاكر الكتبي وابن حجر العسقلاني من اصحاب كتب التراجم . وهنالك ايضاً صالح بن يحيى مؤلف تاريخ بيروت وتقي الدين المقريزي مؤلف كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ثم ابو المحاسن بن تغري بردي مؤلف النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ثم لسان الدين بن الخطيب صاحب الاحاطة

بتاريخ غرناطة ثم ابن بطوطة صاحب الرحلة المشهورة ثم عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨ هـ—١٤٠٥ م ) موجد علم الاجتماع ومؤسس علم التاريخ لم يسبقه الى ذلك احد ، حتى الذين جاءوا بعده قد قصروا عنه في ما وصل هو اليه من الاستنتاج الصحيح في علم الاجتماع وفي وضع اسس علم التاريخ .

واما في الكتب اللغوية فيكفي ان نذكر القاموسين العظيمين لسان العرب لابن منظور ( ت٧١١ هـ ) والقاموس المحيط للفيروزآبادي ( ت٨١٧ هـ )ثم المزهر في اللغة للسيوطي ( ت٩١١ هـ ) . ومن كتب الادب البارعة والموسوعات الجامعة نهاية الارب للنويري (ت ٧٣٢ هـ ) . ويحسن ايضاً ان نذكر الفلكي الفيلسوف نصير الدين الطوسي (ت ٦٧٢ هـ )، ثم المصلحين العظيمين والفقيهين المحدّثين الامام تقي الدين بن تيمية ( ٦٦١ — ٧٢٨ هـ ) وتلميذه ابن قيّم الجوزية (٦٩١—٧٥١ هـ) وكلاهما دمشقي الدار . وهنالك ايضاً الدميري صاحب حياة الحيوان والقلقشندي ( ت ٨٢١ هـ ) صاحب صبح الاعشي في صناعة الانشاء وهو كتاب في ثمانية اجزاء كبار يبحث في المصطلح الذي تسير عليه الدولة في المكاتبات واصولها وفي الادارة وعقد الصلح والوصايا الدينية وسوى ذلك من الامور المتعلقة بالدولة .

## العهد العثماني الاول

في هذا الدور زاد التأخر في الادب وخصوصاً ما كان منه في الانتاج الوجداني كالشعر والترسل ، فاستمر الادباء على تقليد اساليب العصر العباسي ودخل على الاسلوب شيء من الفساد وركدت ريح العلم الا قليلا وانصرف المؤلفون الى الشروح والتعاليق على كتب من قبلهم او الى جمع بعض المجاميع والموسوعات على مثال ما فعله ادباء العصر المغولي . وكذلك كثرت البديعيات في هذا العهد ( مدح رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم شعراً ) وكان اكثر ادباء هذا الدور في مصر والشام.

فمن اشعر الشعراء في هذه الحقبة عائشة الباعونية المصرية وقد اشتهرت بالبديعيات ثم درويش الارتقي الدمشقي ( ت ١٠١٤ هـ ) ثم فتح الله النحاس الحلبي المدني ( ت ١٠٥٢ هـ ) وقد قضى ردحاً من حياته في الحجاز ، ثم ابراهيم بن صالح الهندي

( ت ١١٠٢ هـ ) وهو من اليمن ، ثم شهاب الدين بن معتوق البصري ( ت ١٠٨٧ هـ ) وكان مشهوراً بالرقة في شعره ، ثم عبدالله الشبراوي المصري ومحمد سعيد السمان الدمشقي من البارعين في النظم والنثر ثم احمد المنيني الطرابلسي ، وهؤلاء الثلاثة توفوا سنة ١١٧٢ للهجرة .

واما الادباء فمنهم بدر الدين الغزي الدمشقي ( ت ٩٤٩ هـ ) ومحمود دياب الاتليدي ( ت ١١٠٠ هـ ) صاحب الكتاب المشهور « إعلام الناس بما جرى للبرامكة في بني العباس » ثم صدر الدين بن معصوم الحسيني المدني علي خان ( ١١٠٤ هـ ) فقد اقام بالهند وترك مؤلفات هامة منها سلافة العصر في محاسن اعيان العصر ترجم فيه لشعراء القرن الحادي عشر وذكر نخباً من اشعارهم. وله ايضاً من الكتب : محاسن اهل الحرمين ( مكة والمدينة ) ، محاسن اهل الشام ومصر ، محاسن اهل اليمن ، محاسن اهل العجم والبحرين والعراق، محاسن اهل المغرب. وكذلك له سلوة الغريب واسوة الاريب وهو رحلته الى حيدر آباد سنة ١٠٦٦ هـ . وكذلك له الدرجات الرفيعة في الطبقات الامامية من الشيعة .

غير ان الذين ألفوا في غير الادب الخالص من أحياء هـذا الدور كانوا اوسع شهرة واعلى مقاماً . فهنالك من المؤلفين في اللغة : شهاب الدين الخفاجي ( ت ١٠٦٩ هـ ) وهو مصري كتب كتباً كثاراً اشهرها شفاء الغليل بما في كلام العرب من الدخيل — طراز المجالس في الادب واللغة — ديوان شعر — خبايا الزوايا بما في الرجال من البقايا — ريحانة الالبا ونزهة الحياة الدنيا . والكتابان الاخيران في تراجم المشاهـير من معاصريه . ومن هؤلاء ايضاً يوسف البديعي الدمشقي ( ت ١٠٧٣ هـ ) وله هبة الايام فيما يتعلق بابي تمام — الصبح المنبي عن حيثية المتنبي . ومنهم عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ ) الذي اشتهر بكتابه « خزانة الادب ولب لسان العرب » (١) وهو شرح لشواهد من الشعر يتخللها تراجم معظم الشعراء والادباء في الجاهلية وصدر الاسلام .

اما اعظم رجال هذه الحقبة في هذا الباب فهو ابو الفيض محمد بن محمد بن عبد

---

(١) لسان العرب لابن منظور ،قاموس.

الرزاق الحسيني المشهور بالسيد مرتضى الزَّبيدي ( ١١٤٥—١٢٠٥ هـ ) نشأ باليمن وسكن مصر وكان يعرف العربية والتركية والفارسية والكرجية وله المام بعلوم كثيرة ، واشهر كتبه « تاج العروس من جواهر القاموس » وهو شرح للقاموس المحيط للفيروزآبادي وهو اوسع قواميس اللغة العربية واوفاها وفيه من الفوائد اللغوية والادبية والجغرافية والتاريخية والعلمية ما هو غاية في التحقيق والاهمية . وكذلك للسيد مرتضى الزبيدي اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الغزالي .

ونبغ في هذا العصرنفر من كبار المؤلفين في الجغرافية والتاريخ والتراجم. من هؤلاء ابن أياس المصري ( ت ٩٣٠ هـ ) صاحب كتاب بدائع الزهور في وقائع الدهور ، وهويتناول تاريخ مصر مجملا منذ الفتح الاسلامي الىسنة ٦٦٩هـ ثم تفصيلاالى ٩٢٨ . وهنالك الديبع الزبيدي اليمني (ت ٩٤٤هـ) وله كتب في تاريخ اليمن ، ثم طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨ هـ) وهو من اتراك آسية الصغرى له كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية وكتاب مفتاح السعادة وهو كتاب وصف فيه اقسام العلوم فذكر فيه ثلاثمائة علم . وكان اذا ذكر علماً عرّفه وبين حدوده وبحث في تاريخه بحثاً انتقادياً مما يدل على وضوح الموضوع في ذهنه .

ومثل طاش كبرى زاده مصطفى بن عبدالله كاتب جلبي ويعرف باسم حاجي خليفة (ت ١٠٦٨ هـ ) اشتهر بكتاب كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، وهو معجم لاسماء المؤلفات العربية فيه نحو ١٤٥٠٠ كتاباً وقد ذكر مع كل كتاب شيئاً مما يتعلق بمؤلفه. وفي كشف الظنون مقدمات تاريخية انتقادية في احوال العلوم وماهيتها وغاياتها واقسامها ، وفي العلوم الاسلامية والمؤلفين والمؤلفات وفي الخط وغير ذلك ... فهو خزانة علم وادب وتاريخ ثمينة .

ومن مشاهير المؤرخين حسين بن محمد الديار بكري المتوفي في مكة بعد٩٨٢هـ بقليل على الاغلب وهو مشهور بكتابه « الخميس في احوال انفس نفيس » وهو كتاب عام في تاريخ الانبياء والاسلام، الا ان القسم الاعظم منه في تاريخ الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وسلم .

وهنالك الحسن بن محمد بن الحسن البوريني الدمشقي (ت ١٠٢٤ هـ) له كتاب تراجم الاعيان من ابناء الزمان وله ايضاً شرح ديوان ابن الفارض . وهنالك ايضاً ابو العباس احمد بن محمد بن احمد التلمساني المشهور بالمقري (ت ١٠٤١ هـ) وله كتاب عظيم اسمه «نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب» في اربعة مجلدات . وقد وصف المقري في هذا الكتاب جزيرة الاندلس وفتح المسلمين لها وذكر مَن توالى عليها من الامراء والخلفاء الى ملوك الطوائف فالى خروجها من يد المسلمين . ثم انه ترجم لنحو ثلاثمائة واربعين من ادبائها وشعرائها ، وذكر شيئاً من احوال الاندلسيين الاجتماعية ، ثم افاض في ترجمة الوزير لسان الدين بن الخطيب حتى ملأ مجلدين من كتابه . وهذا الكتاب اصدق صورة لحال الاندلس الاجتماعية والادبية في اعصرها المختلفة .

وهنالك ثلاثة نفر من علماء دمشق اهتموا بجمع التراجم هم نجم الدين محمد بن محمد الغزي ( ت ١٠٦١ هـ ) صاحب كتاب الكواكب السائرة بمناقب علماء المائة العاشرة . ثم محمد الامين بن فضل الله المحبي ( ت ١١١١ هـ ) وله خلاصة الاثر في اعيان القرن الثاني عشر . ثم ابو الفضل محمد بن خليل المرادي ( ت ١٢٠٦ هـ ) صاحب كتاب سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر .

ويدخل في هذا الباب عبد الرحمن السعدي المولود في تمبكتو في جنوبي غربي الصحراء الافريقية ( ت ١٠٦٦ هـ ) ، وقد كانت له عناية بتاريخ امم السودان وملوكها .

واشتهر ايضاً من المؤرخين عبد الحي بن العماد من اهالي مكة (ت ١٠٨٩ هـ) بكتابه شذرات الذهب في اخبار من ذهب ، وهو كتاب تراجم . ومن المشهورين في هذا الباب الشاعر الرحالة المتصوف عبد الغني النابلسي ( ت ١١٤٣ هـ ) وقد تطوف في فلسطين ولبنان والحجاز وسورية واقام في دمشق ومات بها ، وله نحو تسعين كتاباً في التصوف والرحلات والادب واللغة والشعر والمنطق منها : نفحات الازهار على نسمات الاسحار في مدح النبي المختار — تعطير الانام في تعبير المنام . وله ايضاً كتب في رحلاته الى الشام — مصر — الحجاز — القدس — بعلبك طرابلس . وله كتب في التصوف ايضاً وشرح لديوان عمر بن الفارض .

وهنالك نفر لا ينتظمون في السلك الذي مددناه الى الآن بل هم يمثلون نواحي من التأليف تختلف قليلا او كثيراً عما ذكرنا ،

من هؤلاء عبد الوهاب الشعراني ( ت ٩٧٣ هـ ) المتصوف المصري وله كتب في التفسير والحديث وفي التصوف وتراجم الصوفيين ، اشهرها « لواقح الانوار في طبقات الاخيار » ويعرف عادة بطبقات الشعراني .

ومن هؤلاء بهاء الدين العاملي (ت ١٠٠٣هـ ) وله تآليف في علوم الدين والادب واللغة والحساب اشهرها : الكشكول وهو كتاب ادب يضم اشتاتاً مختلفة من كل علم وفن حتى الهندسة والجبر والفلك والطب والاحصاء والتاريخ والشعر والفلسفة والتصوف ، ثم له المخلاة وهي كالكشكول ولكنها قاصرة على الادب والشعر والامثال والحكم والمواعظ .

ومن هؤلاء ايضاً داوود بن الانطاكي الضرير ، اصله من انطاكية ورحل الى الاناضول ودمشق والقاهرة وتوفي في مكة سنة ١٠٠٨ هـ . له من الكتب تذكرة اولي الالباب والجامع للعجب العجاب في الطب والادوية وفيها فوائد قيمة ونظر ثاقب ، وهي تعرف عادة بتذكرة داوود الانطاكي . وكذلك له تزيين الاسواق بتفصيل اشواق العشاق ، فصل فيه احوال العاشقين وذكر ما اتفق لهم وما اصابهم من العجائب والغرائب ، وفيه تراجم لكثيرين من الشعراء العذريين في صدر الاسلام.

ومنهم يوسف سمعان السمعاني[1] ، وهو راهب لبناني من قرية حصرون اشتغل بالبحث عن المخطوطات وترتيبها في مكتبة الفاتيكان برومية وكان بارعاً في العلوم النظرية واللاهوتية وعارفاً باللغات العربية والسريانية واللاتينية وغيرها ، اما اشهر كتبه فهو «الخزانة الشرقية» ، وهو فهرس دوّن فيه أسماء المخطوطات القديمة ووصفها وذكر ترجمة مؤلفيها مع شيء من الحواشي والتعاليق . وتوفي السمعاني سنة ١١٨٢ هـ ( ١٧٦٨ م ) .

وكذلك منهم المصلح محمد بن عبد الوهاب ( ١١١٦—١٢٠٦ هـ ) رأس الوهابية وامامهم ، سار على آثار فقيه دمشق العظيم تقي الدين بن تيمية واراد ان يرجع بالناس الى حقيقة الدين وبساطة العبادة وان يقاوم اقامة القبور المشرفة والتوسلَ بالاولياء .

ويعرف هذا المذهب السليم باسم مذهب التوحيد ولكنه اشتهر في الكتب الاجنبية وبين العامة باسم الوهابية .

●

لقد استعرضنا معاً في هذه الصفحات القليلة معالم الانتاج الادبي والتأليف منذ الحروب الصليبية الى اواخر القرن الثاني عشر ، ورأينا كيف ان نفوذ العرب السياسي كان يتضاءل شيئاً فشيئاً في هذه الحقبة المتطاولة . على ان التأليف لم يقلّ والفكر لم يكل الا لماماً في اواخر هذه الحقبة . وان حقبة فيها من الشعراء امثال ابن خفاجة وسبط بن التعاويذي والارجاني والابيوردي وابن النبيه وابن الفارض والبهاء زهير والشاب الظريف والبوصيري وصفي الدين الحلي وعمر بن الوردي وعائشة الباعونية وابن معتوق ، ثم فيها من العلماء والمفكرين امثال ابن باجه وابن طفيل وابن رشد وابن خلدون — حتى لا نعد الا القمم الشوامخ في هذا الباب — لا يمكن ان تكون حقبة « انحطاط » كما يذكر زيدان (١) . هذا مع العلم بانه لم ينبغ في هذه الحقبة في الشعر خاصة عباقرة كأبي نواس وابي تمام وابن الرومي والمتنبي ، وما ذلك الا لأن دول الاعاجم من السلاجقة الاتراك والمغول والاتراك العثمانيين كانوا عموماً قليلي التشجيع للتكسب بالشعر ، مع انهم لم يضنوا بشيء على الجغرافيين والمؤرخين والعلماء واللغويين حتى نشأ في هذه الحقبة في بعض هذه الموضوعات ما لم ينشأ مثلهم في ذروة الزهو السياسي عند العرب .

ومع ان تاريخ الادب يجب ان يتناول التأليف في العلوم كلها فانه يتألف في الاكثر من مجموع خصائص « الانتاج الوجداني والوصفي » ، اي من خصائص « الكلام الجميل » شعراً ونثراً . والاهتمام في تأريخ الادب يتجه عموماً الى الاسلوب الذي هو طريقة التعبير عن المعاني اكثر مما يتجه الى المعاني نفسها ، الا اذا كانت تلك المعاني مسوقة في تعابير جديدة .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٣ : ٢٧٣

## عنصر التقليد

على اننا نجد ، اذا جئنا الى الادباء خاصة ، سواء اكانوا شعراء ام ناثرين ، ان التقليد يسيطر على انتاجهم وانهم يقلدون من سبقهم في فنونهم واغراضهم ومعانيهم وفي اسلوبهم ايضاً مع ما نجد احياناً من الجمال الفني في اشعارهم وخطبهم ورسائلهم — لغلبة الصناعة اللفظية خاصة على اقوالهم . فاذا نحن قرأنا مثلا ابيات صفي الدين الحلي ( ت ٧٥٠ هـ — ١٣٤٩ م ) :

وَفِتْيَةٍ إِنْ نَقُلْ أَصْغَوْا مَسَامِعَهُمْ　　لِقَوْلِنَا أَوْ دَعَوْنَاهُمْ أَجَابُونا
إذا ادَّعَوْا جاءَتِ الدُّنْيَا مُصَدِّقَةً　　وإنْ دعوْا قالتِ الأيامُ : آمِينَا
بِيضٌ صَنَائِعُنا ، سُودٌ وَقَائِعُنا　　خُضْرٌ مَرَابِعُنا حُمْرٌ مَوَاضِينَا .

لم نخطىء فيها نفس الشاعر الجاهلي بشامة بن حزن النهشلي في الغرض والاسلوب معاً ولا في الفاظه وتراكيبه :

وإنْ دعوتِ الى جُلّى ومَكْرُمَةٍ　　يَوْماً سَرَاةَ كِرامِ النَّاسِ فَادْعِينا .
وَلَيْسَ يَهْلِكُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبداً　　إلّا افْتَلَيْنا (١) غُلاماً سَيِّداً فِينا .
بِيضٌ مَفَارِقُنا ، تَغْلِي مَرَاجِلُنا　　نَأْسو بأَمْوالِنا آثارَ أَيْدِينَا .

ثم جاء الحكم العثماني (٩٢٢ هـ — ١٥١٦ م ) فلم يكن للعرب فيه نهضة فكرية او ادبية خاصة كالنهضات التي سلفت . فلما ضعف الفكر اتجه الكتاب في الاكثر والشعراء في الاقل الى اللغة ينمقونها ويرددون تراكيبها يزعمون انهم بذلك يقبسون اسلوب بديع الزمان والحريري ، حتى ان نفراً منهم وضعوا مقامات انحطت عن مقامات بديع الزمان والحريري في الغرض وفي الاسلوب معاً .

على ان هذا لم يمنع شعلة الادب العربي ان تظل خالدة بخلود القرآن الكريم وباستمرار العناية بالعلوم العربية في مساجد الاقطار . ولا ريب في ان الفضل الاعظم

---

(١) افتلى : اختار ، اتخذ .

في المحافظة على الشعلة العربية في العلم والادب كان للجامع الازهر الذي احتضن الفقه والادب واللغة في اثناء العصور المظلمة كلها ثم اداها الينا سليمة خالصة من جميع الشوائب . وكذلك كان شأن المساجد في جميع البلاد الاسلامية نخص بالذكر منها جامع الزيتونة في تونس والنجف بالعراق ، والجامع الاموي في دمشق .

# بواعث النهضة الادبية الحديثة

عاش الادب العربي حقبة قل فيها الابتكار وكثر التقليد ، وخصوصا تقليد النتاج الفكري في عصور الزهو العباسية. ولقد استمر الادب العربي كذلك بينما العالم العربي غارق في تقهقره السياسي وغافل عما يتمخض به العالم الغربي في اوروبة خاصة ، حتى فجأته عوامل مختلفة آتية من اوروبة فهزته هزة سياسية عنيفة فاخذ يستيقظ الى حقيقة تراثه القديم ويلونها الى حد ما بالوان الحضارة الاوروبية .

من هذه البواعث المباشرة:

## حملة نابليون على الشرق : مصر والشام

لم تكن حملة بونابرته على الشرق (١٢١٣ هـ - ١٧٩٨ م ) حملة عسكرية فقط، فلقد اصطحب بونابرته معه نفراً من العلماء والادباء اسسوا في القاهرة مدرستين لتعليم ابناء الفرنسيين في مصر وانشأوا جريدتين فرنسيتين لنشر اخبار الجيش واوامر القادة ورغبات الاحتلال . وانشأوا كذلك غرفة للمطالعة ومسرحاً للتمثيل ومجمعاً علمياً ومعامل مختلفة. ومع العلم اليقين بان جميع هذه المؤسسات انما قصد بها خير الفرنسيين المحتلين فانها قد افادت مصر الى حد كبير .

## محمد علي في مصر

لما تولى محمد علي باشا ولاية مصر سنة ١٢١٦ هـ ( ١٨٠٥ م ) ادرك انه لا يمكن ان يتغلب على المماليك الذين كانوا يحكمون مصر قبله ثم يأمن منافستهم مرة واحدة الا اذا اخذ باسباب « الحرب الحديثة » التي استطاع بونابرته ان يتغلب بها على المماليك . فاخذ منذ ابتداء ولايته يهتم بالجيش وبكل ما يتصل بالجيش من قرب او من بعد . ومنذ عام ١٨١٣ م اخذ يرسل شباناً الى اوروبة ليتعلموا الفنون الحربية

والعلوم التي تعين على اتقان هذه الفنون . وفي ١٨١٦ م اعاد تنظيم الجيش على الاسلوب الاوروبي، ثم انشأ مدارس عسكرية منذ ( ١٨٢٤ م ) ومدرسة طبية (١٨٢٦م) ومدارس مختلفة للكيمياء والتعدين والهندسة والزراعة واللغات والصنائع والفنون . وقد انشأ محمد علي « المطبعة الاهلية » في بولاق عام ١٨٢١ م، وجريدة الوقائع المصرية ( ١٨٢٨ م ) .

## الارساليات الدينية الاجنبية في لبنان

في هذه الاثناء كانت جمعيات التبشير في اوروبة واميركة قد اخذت تهتم بالشرق العربي لنشر مذاهبها الدينية فاختارت ان تبدأ بجبل لبنان .

وكان اول من جاء الى هذه البلاد المبشرون الاميركيون من البروتستانت فانهم نزلوا عام ١٨٢٣ في بيروت ثم تفرقوا بعد ذلك في المدن الكبرى من الشام ( سورية ولبنان وفلسطين ). وفي عام ١٨٣١ تبعهم اليسوعيون من الكاثوليك .

وقام المبشرون باعمال البر والاجتماع وبالتعليم توصلا الى غاياتهم الدينية . وكان من غاياتهم ان يلفتوا المسلمين عن الاسلام الى غيره فلم ينجحوا . حينئذ نقلوا نشاطهم الى النصارى انفسهم . وان افراد الجماعة البروتستانتية في سورية ولبنان يرجعون في الاكثر الى طوائف الروم والموارنة .

وكان من الطبيعي ان يقبل النصارى على مدارس المبشرين وان يكثر الذين تلقوا العلم الغربي واللغات الاجنبية بين النصارى ، وان يسبق النصارى المسلمين في هذا المضمار بزمن هو نحو خمسين سنة .

## المستشرقون

المستشرقون هم الغربيون الذين يهتمون بالعلوم الشرقية. ومع ان اهتمام الغربيين بالعلوم الشرقية قديم جداً ،فان المقصود بالمستشرقين هنا اولئك الذين بدأوا يهتمون بمظاهر الثقافة الشرقية منذ القرن الثامن عشر للميلاد فقط .

والمستشرقون ينتمون الى جميع الامم الاوروبية في الاكثر ، من الانكليز

والافرنسيين والالمان والروس والايطاليين وسواهم . اما الاستشراق بين الاميركيين فمتأخر النشأة . ولا ريب في ان اهتمام الامم المختلفة بالاستشراق كان على نسبة اطماعها الاستعمارية في الشرق. ومن هنا نشأ التحامل على العرب والمسلمين خاصة بين اكثر المستشرقين ، ومن هنا ايضاً كان اكثر المستشرقين من الانكليز والافرنسيين والالمان . ومع ذلك كله فقد كان للمستشرقين اثر بيّن في نهضة الادب العربي الحديث . ولقد كان نشاط المستشرقين فرقين كبيرين :

١ - نشر المخطوطات العربية بعد تحقيق ما فيها وكتابة المقدمات لها . ان اكثر الاصول العربية قد نشرت لاول مرة في اوروبة بعناية المستشرقين .

٢ - كتابة البحوث عن الشرق في اللغات الاجنبية .

وفيما يلي شيء من نشاط المستشرقين في هذين البابين :

( أ ) يوهان رَيسكي **REISKE** الالماني ( ت ١٧٧٤ م ) طبع تاريخ ابي الفداء ومقامات الحريري بالعربية مع ترجمة لاتينية .

(ب) سلفاستر دي ساسي **DE SACY** الافرنسي ( ت ١٨٣٤ م ) . له بحوث في تاريخ العرب قبل الاسلام وفي المذهب الدرزي .

(جـ) كوسان دي برسيڤال **Caussin de PERCIVAL** الافرنسي (ت١٨٣٨م) وله كتب في آداب العرب وتاريخهم. واشتهر ابنه ارمان بيار(ت١٨٧١ م) بكتابه العرب قبل الاسلام .

( د ) اتيان كاترمير **QUATREMÈRE** ( ت ١٨٥٧ م ) ، نشر مقدمة ابن خلدون ونقل الى الفرنسية تاريخ المماليك عن المقريزي .

( هـ) جورج فرايتاغ **FREYTAG** الالماني ( ت ١٨٦١ م ) ، نشر ديوان الحماسة لابي تمام مع ترجمة لاتينية ، والف بالالمانية كتاباً عن اللغة العربية في الجاهلية والاسلام .

(و ) جوينبول **JUYNBOLL** الهولندي ( ت١٨٦١ م ) نشر قصائد للمتنبي ولمعاصريه في مديح سيف الدولة مع ترجمة لاتينية لها ، وكتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردي وسوى ذلك .

(ز ) كورتن CURETON الانكليزي ( ت ١٨٦٤ م ) ، نشر كتاب المِلَل والنِحَل للشهر ستاني، وعقيدة اهل السنة للنسفي .

(ح ) سليمان مونك MUNK الافرنسي ، وهو ألماني الاصل ،( ت ١٨٦٧ م) الف كتاباً في جغرافية فلسطين و كتاباً بالافرنسية اسمه مجموع من الفلسفة العربيـــة واليهودية .

(ط) غوستاف فلوغل FLUEGEL الالماني ( ت ١٨٧٠ م ) نشر كشف الظنون في سبعة مجلدات مع ترجمة لاتينية و كتاب الفهرست لابن النديم. واشرف على طبع القرآن الكريم في ليبسك ثم استخرج دليلا مفصلا لآياته رتب فيه جميع الكلمات على حروف المعجم واشار الى جميع الآيات التي وردت فيها تلك الكلمات بارقام الآيات. وقد سماه « نجوم الفرقان».

(ي) كازيمرسكي KAZIMIRSKI البولوني ( ت ١٨٧٠ م ) ، نقل القرآن الكريم الى الفرنسية ووضع قاموساً سماه كتاب اللغتين العربيـــة والفرنسية ( ٤ اجزاء ) .

(ك ) ادورد لاين LANE الانكليزي ( ت ١٨٧٦ م ) له قاموس عربي انكليزي واسع جداً اسمه « مد القاموس » ، وله ترجمة انكليزية لقصة الف ليلة وليلة .

(ل ) دي سلان DE SLANE الافرنسي ( ت ١٨٧٩ م ) نقل الى الافرنسية مقدمة ابن خلدون ، وتاريخ البربر لابن خلدون ايضاً ووفيات الاعيان لابن خلكان . ونشر شيئاً من شعر امرىء القيس ونقله الى الافرنسية .

(م ) دوزي الهولندي ( ت ١٨٨٣ م ) نشر كتباً تتعلق بالمغرب والف كتاب « تاريخ المسلمين في اسبانية » .

(ن ) بالمر PALMER الانكليزي ( ت ١٨٨٣ م ) نشر ديوان البهاء زهير ونقل القرآن الكريم وديوان البهاء زهير الى الانكليزية .

(س) فلايشر FLEISCHER الالماني ( ت ١٨٨٨ م ) نشر تفسير البيضاوي مع الفهارس الابجدية و كتاب المفصل للزمخشري وغيرهما.

(غ ) رايط WRIGHT الانكليزي ( ت ١٨٨٨ م ) نشر كتاب الكامل للمبرد ورحلة ابن جبير .

(ف) غوستاف فايل WEIL ( ت ١٨٨٩ م ) له تاريخ الخلفاء باللغة الالمانية، ونقل كتاب السيرة النبوية لابن هشام الى الالمانية .

(ص) فون كريمر VON KREMER الالماني ( ت ١٨٨٩ م ) له كتب كثيرة اشهرها تاريخ التمدن في الشرق .

(ق ) فستنفلد WUESTENFELD الالماني ( ت ١٨٩٩ ) نشر: سيرة ابن هشام، وفيات الاعيان لابن خلكان ، معجم البلدان لياقوت ، عجائب المخلوقات للقزويني . وله بالالمانية جداول مفصلة للقبائل العربية مع فهرست لها .

(ر ) دي غويه DE GOEJE الهولندي ( ت ١٩٠٩ م ) ، نشر فتوح البلدان للبلاذري وديوان مسلم بن الوليد وتاريخ الطبري وغيرها .

(ش) تيودور نولدكه NOLDEKE الالماني ( ١٨٣٦ — ١٩٣٠ ) له تاريخ القرآن وهو بحث مفصل في الترتيب التاريخي لنزول سور القرآن الكريم ، وله بحوث في المعلقات وفي تاريخ الغساسنة وفي الشعر العربي .

(ث) كوسيغارتن KOSEGARTEN الالماني(ت١٨٦٠م)،نشرجزءاً من كتاب الاغاني مع ترجمة لاتينية وجزئين من تاريخ الطبري مع الترجمة اللاتينية ايضاً . ونشر القسم الاول من اشعار الهذليين المخضرمين عام١٨٥٤م. اماالقسم الثاني فقد نشره يوسف هل الالماني (ت ١٩٥٠ ).

(خ ) اغناطيوس غويدي GUIDI الايطالي ( ١٨٨٤ — ؟ ) له بحوث عربية كثيرة ، واعظم آثاره فهارس الاغاني وضعها باللغة الفرنسية .

( ذ) كليان هوار HUART الافرنسي ( ١٨٥٤ — ١٩٢٦ ) له بالافرنسية تاريخ العرب وتاريخ الادب العربي وتاريخ بغداد الحديث .

(ض) اغناطيوس غولدزيهر المجري ( ١٨٥٠ — ١٩٢١ ) له من الكتب : دراسات في الاسلام — محاضرات في الاسلام — الجدل عند الشيعة — المذهب الظاهري .

هذه الكتب التي نشرت والبحوث التي كتبت كانت ذا تأثير كبير على اتجاه الدراسة والتأليف بين العرب انفسهم . ويحسن ان نشير مثلا الى ان « تاريخ آداب اللغة العربية» لجورجي زيدان انما هو تقليد لكتاب كارل بروكلمان BROCKELMANN الالماني في الموضوع نفسه . وقل ان يخلو بحث في تاريخ الادب والثقافة والتاريخ عند العرب من آراء للمستشرقين .

# مظاهر الادب الحديث

بدأت النهضة الحديثة في الادب بتقليد المتقدمين نثراً ونظما ، وخصوصا في فن المقامات والبديعيات وفي النقد اللغوي والادبي وفي الخطابة والرحلات . ثم عمد الادباء الى النقل ( من اللغات الاجنبية الى اللغة العربية ) والصحافة والتمثيل ودوائر المعارف الشاملة ، مما سنوجزه فيما يلي :

## ١ — المقامات :

المقامة حكاية قصيرة مبنية على الكُدية ( الاستعطاء )ومروية في نثر منمق مثقل بالصناعة في الاغلب. وربما تخللها شعر قليل او كثير (١) . وقد اشتهر من اصحاب المقامات في العصر الاخير :

### احمد بن عبد اللطيف البربير

ولد احمد البربير في دمياط ( مصر ) سنة ١١٦٠ هـ / ١٧٤٨ م ، وجاء الى بيروت وله من العمر ثلاث وعشرون سنة . ولقد كان اديباً شاعراً فقيهاً فعينه الامير يوسف الشهابي قاضياً . ثم انه استعفى من منصب القضاء وذهب الى دمشق سنة ١١٩٥ هـ / ١٧٨١ م ، وفيها توفي سنة ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م ، فيتضح لنا من هذه التواريخ ان احمد البربير هو من طلائع النهضة الحديثة الاولين . ثم هو فوق ذلك من الذين شهدوا هذه النهضة في مصر والشام ، قضى الجزء الاوفى من حياته في بيروت ودمشق .

ولاحمد البربير مقامات وديوان، وله كتاب اسمه الشرح الجلي على بيتي الموصلي.

(١) الرسائل والمقامات للدكتور عمر فروخ ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٦٩ هـ — ١٩٥٠ م، وخصوصاً ص ٢١ وما بعدها .

# نقولا الترك

يدل اسم نقولا الترك على انه غير لبناني الاصل فهو من اسرة يونانية هاجرت الى لبنان . اما نقولا نفسه فقد ولد في دير القمر عام١٧٦٣ م (١١٧٧ هـ). ويبدو انه زار مصر مرتين مرة سنة ١٢٠٣ هـ (١٧٨٩ م) ، ومرة في اثناء الحملة الافرنسية على مصر ، ارسله الامير بشير الشهابي في مهمة لا تشرف كثيراً . لقد كان عليه ان « يدرس » احوال حملة بونابرته ويرى اذا كان بامكان الامير بشير الشهابي ان يضم جهوده الى جهود الفرنسيين ضد الدولة العثمانية .

ولما استطاع ابراهيم الحلبي ان يطعن كليبر خليفة بونابرته في مصر فيقوض اولى دعائم الاستعمار الحديث في الشرق جعل نقولا الترك ينتحب ثم رثى كليبر بابيات لا شاعرية فيها ولكنّ فيها حباً للاجنبي وكرهاً للذين حاربوا بونابرته وابوا الخضوع للاجنبي . من هذه القصيدة الركيكة على لسان كليبر :

لا تنكروا فعلي بغوطة جلق ... حيث العداة ببرج ابن العامر
وسبيل علامي لبطشي شاهد ... ينبيكم عن فعل سيفي الباتر
اذ بادروا الاتراك في اقبالهم ... يتلاطمون كمثل بحر زاخر
فهناك بددت الجيوش بصارمي ... وتركتهم اعجوبــــة للناظر
من باب مصر للعريش اسقتهم ... سوق الخراف امام وجه الزاجر
كم دست هام مقاوم غادرتـه ... اسرى يد وقهرت كل مشاجر
واذ كان ما في الموت تدبير ولا ... حيل ولا حـد لحكم القادر
فغدى اخس الخلق منهم قاتلي ... والسايل السعلوك ارخ غادري

يعني بقوله : « اخس الخلق » ابراهيم الحلبي . على ان ابراهيم هذا كان اعجوبة في التضحية والذكاء . وهو يدعى الحلبي لانه من حلب لا لأن ذلك اسم اسرته . ترك ابراهيم الحلبي بلده حلب في زي شحاذ ( ولذلك قال نقولا الترك عنه : والسايل السعلوك ) وقطع المسافة الى مصر ماشياً ، ثم جعل يستعطي في مصر حتى ألفه الناس

كلهم واتصل بالجنود الافرنسيين . وقد تقدم يوما يستعطي من كليبر نفسه ، وفيما هو قربه طعنه بخنجر طعنة قاتلة . على ان ابراهيم الحلبي قتل في الحال ولكن بعد ان قتل رمزاً من رموز الاستعمار .

والعجيب ان تهتم وزارة التربية الوطنية في لبنان بمثل هذا الديوان الذي لا عبقرية شعرية فيه ولا عاطفة وطنية سليمة (١)

وفي القطعة التي اثبتها قراءات خاطئة بلا ريب ، لو حررت لاستوى النص من حيث اللغة والوزن معاً. على ان الركاكة البادية في جميع الديوان لا تحيل ان تكون هذه الاخطاء من الشاعر نقولا الترك نفسه .

ولنقولا الترك نفسه شيء من التوشيح يقلد فيه الاندلسيين . وتوشيحه كسائر شعره كثير الركاكة، قال يقلد موشحة لسان الدين بن الخطيب فاقرأ موشحة لسان الدين ثم اقرأ مطلع موشحة نقولا الترك التالية :

يا نسمات الصبا حيي الحما ... وربوع المعلم المؤتنس
ثم حيي حي صحبي الكرما ... خير قوم فديوا بالانفس

●

مغنمي مغنى به لذ الغنا ... من مغن اغيد غان اغن
حيث من احبابي بيمن امنا ... جل من في ذا المنا والفضل من
فهو في رغد وعيش وهنا ... وهنا مغنى هواهم في وهن
يهرق الدمع دماً منسجما ... من جفون ترعى انجم الغلس
يشتهي طيب لقاهم مثلما ... يشتهي زورة بيت المقدس

***

ولنقولا الترك مقامات احسن لغة من شعره ولكن ليس فيها من عبقرية المقامة شيء .

وتوفي نقولا الترك في مسقط رأسه في الاغلب ١٨٢٨ م ( ١٢٤٣— ١٢٤٤هـ ).

---

(١) ديوان المعلم نقولا الترك طبع نصوصه ووضع مقدمته وفهارسه فؤاد افرام البستاني ، المطبعة الكاثوليكية ١٩٤٩ .

## الشيخ ناصيف اليازجي

ولد الشيخ ناصيف اليازجي في قرية كفرشيما ( جنوب بيروت ) في ٢٥ آذار ١٨٠٠ ( ١٢١٤ هـ ) . درس في بيروت ، ثم اصبح كاتباً للامير بشير الشهابي مدة اثني عشر عاماً. ثم انه عاد الى بيروت وعلّم اللغة العربية عند الاميركان ( في مدارسهم ) . وفي آذار ١٨٦٩ فلج نصفه الايسر ، وتوفي في بيروت في الثامن من شباط ١٨٨١ ( ١٢٨٧ هـ ) .

والشيخ ناصيف اليازجي ناثر ومنشىء وشاعر ، له كتب مدرسية في النحو والعروص والبلاغة وله ديوان شعر . على انه شهر بما يلي :

( أ ) مجمع البحرين ، وهو مقامات تبلغ ستين مقامة فيها كثير من المقدرة اللغوية والادبيةوشيءمن القوة المعنوية.وهوفي مقاماته يقتفي اثرالحريري.

(ب) العَرف الطيب في شرح ديوان ابي الطيب ، وهو شرح لديوان المتنبي بدأه ولم يتمه فاتمه ابنه الشيخ ابراهيم .

(جـ) شعر نشر في ثلاثة اجزاء .

( د) جوف الفرا ( في النحو ) .

### مقامات اليازجي

للشيخ ناصيف اليازجي مجموع مقامات سماه « مجمع البحرين » نحا فيه منحى الحريري بالاهتمام بالصناعة اللفظية وبالاكثار من الشعر. وهنالك تعابير نقلهااليازجي عن الحريري نقلا . واليازجي يكثر من اقتباس آيات القرآن الكريم وتضمينهاحتى ندر ان تخلو لهمقامةمن شيء من ذلك.واسم مقاماته «مجمع البحرين» مقتبس من القرآن الكريم — ١٨ (سورة الكهف ) : ٦١ . وكذلك اسماء المقامات ونكتها لا تبعد ابداً عن مقامات الحريري في ذلك .

اما « الراوية » في مجمع البحرين فهو سهيل بن عباد ، واما المكدي ( البطل ) فهو ميمون بن خزام . وقـــد فرغ الشيخ ناصيف من تأليف مجمع البحرين عام ١٨٥٥ م ( ١٢٧٣ هـ ) .

## المقامة الستون وتعرف بالقدسية ( وهي آخر المقامات ) :

قال سهيل بن عباد : لقيت ابا ليلى في المسجد الاقصى (١) بين جمهور لا يحصى، والناس قد تألبوا عليه كالاجربين واحاطوا به كالاخشبين (٢) .وهو يخاطبهم بالوعظ والانذار ويحذرهم عذاب النار وسوء عقبى الدار (٣) .حتى صارت مدامعهم تصوب وكادت اكبادهم تذوب . فلما رآني تحفز وهو قد استوفز ، فانقضضت اليه كالاجدل وسقطت عليه كالجندل (٤) . فحياني تحية الاحبة ثم استأنف الخطبة، فقال : الحمد لله الذي جعل حرمه (٥) أمناً للعباد ومقاماً للعبّاد ، ( وهو الذي خلق فسوّى وقدّر فهدى واضحك وابكى وامات واحيى ، والذي جعل الارض مهاداً والجبال اوتاداً وبنى فوقكم سبعاً شداداً ، والذي مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ، وهو كل يوم في شان ، لا إله الا هو الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد ) سبحانه وريحانه، ما اعظم قدرته وشانه وأوسع منّته واحسانه ! أما بعد ، فانني قد قمت فيكم مقام الفقيه الخاطب وهي صفقة لم يشهدها حاطب (٦) ، فاني طالما ارتكبت الاوزار وتبطنت الاقذار ، واجترحت المغارم واستبحت المحارم ، وانتهكت الاعراض (٧) فسودت منها كل بياض . وما زال

(١) ابوليلى : ميمون بن خزام ، المكدي ( البطل ) . المسجد الاقصى : مسجد القدس.

(٢) الاجربان : بنو عبس وذبيان . الاخشبان : جبلا مكة .

(٣) سوء عقبى الدار : يقصد العاقبة السيئة يوم القيامة ( راجع القرآن الكريم ١٣ : ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٩١ : ١٦. راجع ايضاً : عاقبة الدار ، العاقبة ، عاقبة المفسدين، عاقبة الظالمين الخ . في اماكن مختلفة من القرآن الكريم .

(٤) صاب ، يصوب : انسكب ، سال ، هطل . تحفز : تهيأ للقيام . استوفز : جلس غير متمكن . الاجدل : الصقر . الجندل : الصخر ( راجع قول امرىء القيس : كجلمود صخر حطه السيل من عل ) .

(٥) البيت الحرام ، الكعبة ، في مكة يقصد اليازجي المساجد عموماً .

( ) آيات من القرآن الكريم اقتباساً او تضميناً .

(٦) حاطب بن بلتعة كان حازماً لبيباً يحسن البيع والشراء . والصفقة التي لم يحضرها حاطب : التي يقع فيها غبن.

(٧) ارتكب الاوزار : عمل الذنوب . تبطن الاقذار : جعل الامور الدنسة باطنا له حقيقة كشرب الخمر او مجازاً كالزنا . اجترح المغارم : اتى الجنايات الكبار . استباح المحارم : اباح لنفسه الامور التي حرمها الله. انتهك الاعراض: شتم العرض (شرف الاسرة) اوثلمه .

ذلك دأبي مذ شببت الى ان دَبَبْتُ (٨) فليس لي ان أعظ أحداً ولا أفوه بخطبة أبداً . وعلي ان أقصر درسي على وعظ نفسي . وها قد اعتمدت الاوبة (٩) واعتصمت بالتوبة . فادعوا الله لي ان يأخذني بحلمه لا بحكمه ، ويعاملني بفضله لا بعدله . ثم أخذ في الاجيج والضجيج وجعل يراوح بين النحيب والنشيج (١٠) حتى ابكى من حضر من البدو والحضر . فاخذ القوم في تسكين ارتعاشه وتمكين انتعاشه حتى خمدت لوعته وهمدت روعته (١١) ،فحباه كل واحد بدينار وقال ادع ربك لي واستغفره بالاسحار .قال اني قد تجردت عن عرض الدنيا الى الغاية القصيا، فلا اقبل منه مثقال ذرة ما دمت أحيى (١٢) . ثم نهض بي مكبّراً وولي مدبراً فبات بليل انقد، يساهر الفرقد، وهو لا يفتر من ذكر الله(١٣)ولا يمل من الصلوة . حتى اذا أخذت الدراري في الافول قام على مرقبة (١٤)وانشأ يقول :

قُمْ في الدُّجى يا أيُّها المُتَعَبِّدُ حَتّى متى فوقَ الأسِرَّةِ ترقدُ
قُمْ وادْعُ مَوْلاكَ الذي خَلَقَ الدُّجى والصُّبْحَ وامْضِ فقد دعاكَ المَسْجِدُ
واسْتَغْفِرِ اللهَ العَظِيمَ بِذِلَّةٍ واطْلُبْ رِضاهُ فإنَّهُ لا يَحْقِدُ

---

(٨) صرت مسناً ادب ( اسير معتمداً علي عصا ).
(٩) الاوبة : الرجوع عن المعاصي .
(١٠) اج (هنا) : كان له حفيف اي صوت خافت . ضج : كان له صوت مرتفع . راوح بين الشيئين : صنع هذا مرة وذلك مرة اخرى بالتداول . النحيب : البكاء بصوت .النشيج : البكاء بلا صوت .
(١١) الارتعاش : الرجفان . انتعش العاثر : نهض من عثرته . ويقصد اليازجي انه المكدي انتعش : اي رجع الى حاله الاصلية ، قوي بعد ضعف . اللوعة : الحزن . الروعة : الخوف .
(١٢) حباه : اعطاه . السحر : قبل الصبح بقليل. عرض الدنيا : متاع الدنيا ( ما يملك الانسان من الاشياء المادية ) . منه:من عرض الدنيا،القصّيا :البعيدة. الذرة: النملة الصغيرة. مثقال ذرة : مقدارذرة ، شيء قليل جداً.
(١٣) نهض بي : انهضني معه . مكبراً : قائلا « الله اكبر » . ولى مدبراً : ذهب لا يلتفت الى احد . بات بليل انقد : ساهر. يساهر الفرقد : يتطلع الى احد نجمين يسميان الفرقدين. فتر : انقطع ، ذكر الله : تسبيحه والثناء عليه .
(١٤) الدراري : النجوم . الافول : الغروب ، المغيب . مرقبة : مكان مرتفع .

وَأَنْدَمْ علىٰ ما فَاتَ وَأَنْدُبْ ما مَضَى  بالأَمْسِ  وَأَذْكُرْ ما يَجِيءُ به الغَدُ
وَأَضْرَعْ وَقُلْ : يا رَبِّ عَفْوَكَ إنَّني  من دونِ عفوِكَ لَيْسَ لي ما يَعْضُدُ
أَسفاً عَلَى عُمْرِي الذي ضَيَّعْتُهُ  تَحْتَ الذُّنُوبِ وَأَنتَ فوقي تَرْصُدُ
يا رَبِّ لَمْ أَحسَبْ مَرارَةَ مَصْدَرٍ  عَنْ زَلَّةٍ قَدْ طابَ مِنْهَا المَوْرِدُ
يَا رَبِّ قَدْ ثَقُلَتْ عَلَيَّ كَبائِرٌ  بِإِزَاءِ عَيْنِي لَمْ تَزَلْ تَتَرَدَّدُ
يَا رَبِّ إِنْ أَبْعَدْتُ عَنْكَ فَإِنَّ لي  طَمَعاً بِرَحْمَتِكَ الَّتِي لا تُبْعِدُ
يَا رَبِّ قَدْ عبِثَ البَياضُ بِلِمَّتِي  لكِنَّ وَجْهِي بالمَعاصِي أَسْوَدُ
يا رَبِّ قَدْ ضاعَ الزَّمانُ وليس لي  في طاعَةٍ أَوْ تَرْكِ مَعْصِيَةٍ يَدُ
يَا رَبِّ ما لي غيرُ لُطْفِكَ مَلْجَأً  ولَعَلَّنِي عَنْ بابِهِ لا أُطْرَدُ
يَا رَبِّ هَبْ لي تَوْبَةً أَقْضِي بِهَا  دَيْناً عَلَيَّ بِهِ جَلالُكَ يَشْهَدُ
أَنْتَ الخَبِيرُ بِحَالِ عَبْدِكَ إِنَّهُ  بِسَلاسِلِ الوِزْرِ الثَّقِيلِ مُقَيَّدُ
أَنتَ المُجِيبُ لِكُلِّ داعٍ يَلْتَجِي  أَنتَ المُجِيرُ لِكُلِّ مَنْ يَسْتَنْجِدُ
مِنْ أَيِّ بَحْرٍ غَيْرِ بَحْرِكَ نَسْتَقِي  وَلأَيِّ بابٍ غَيْرِ بابِكَ نَقْصِدُ

قال سهيل : فلما فرغ من ابياته غاص في التهليل والتحميد والترتيل والتجويد حتى تهافت من وجده وكاد يغيب عن رشده ( ١٥ ) . فعجبت من استحالة حاله وايقنت بحؤوله عن محاله ( ١٦ ) . ولبثت عنده شهراً اجتني من روضه زهراً واجتلي

---

(١٥) التهليل : قول « لا آله الا الله » . التحمد : قول « الحمد لله » . الترتيل : قراءة القرآن الكريم بتفهم وعلى مهل . التجويد : قراءة القرآن باحكامها ، من اعطاء كل كلمة حقها من اللفظ . تهافت ( هنا ) : سقط . الوجد : الشوق ، الحزن . الرشد : العقل ، الوعي .

(١٦) استحالة حاله : تبدل حاله ( شأنه ، امره ) . حؤوله عن محاله : انصرافه عن باطله ( عن ذنوبه وعصيانه ) .

من افقه زهراً ( ١٧ ) ، الى أن حم الفراق وقال ناعبه : غاق . فاعتنقني مودعا ثم سايرني مشيعاً ، وقال : موعدنا دار البقاء ، فكان ذلك آخر عهدنا باللقاء .

## ٢ – النقد الادبي

النقد اللغوي قديم ، حتى في النهضة الحديثة فهناك لاحمد البربير كتاب الشرح الجلي على بيتي الموصلي ، وهو كتاب نقد لغوي ادبي بلاغي. و كذلك للشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي المتوفي في ٢٢ رجب ١٣٠٨ ( ٤ آذار ١٨٩١ ) تحفة الرشدية في علوم العربية ، وله ايضاً كشف الارب عن سر الادب . و كذلك له الكتاب المشهور فرائد اللآل من مجمع الامثال وقد نظم فيه امثال العرب شعراً .

ومن الذين اشتغلوا بالنقد الادبي الى حد ما الشيخ ابراهيم اليازجي وسليمان البستاني ولهما في هذه الدراسة ترجمتان مفصلتان.

## ٣ – الدروس الاجتماعية والاخلاقية

هذا الموضوع يتناول في الحقيقة « مقالات » تمس المجتمع والاخلاق من الناحية الوصفية العامة ، وليس فيها بحث بالمعنى المقصود من ذلك في تاريخ الفكر الانساني. وقلما تخلو كتابات كاتب من مثل هذه الملاحظات العامة . والمجلات والكتب التي صدرت في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين الى اليوم مملؤة بالنظرات الاجتماعية والاخلاقية . ويكفي ان نشير هنا الى بعض الاسماء اللامعة في هذا الباب امثال الشيخ جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده والشيخ محيي الدين والخياط والشيخ مصطفى الغلاييني ، وان كان منهاج البكالوريا اللبناني يسمي بطرس البستاني وجبران خليل جبران وولي الدين يكن فقط .

### بطرس البستاني

ولد بطرس البستاني في قرية الدبية من اقليم الخروب بلبنان عام ١٨١٩ م ( ١٢٣٥ هـ ) ودرس في عين ورقة . وقد استوعب بطرس البستاني كثيراً من علوم اللغة والتاريخ والجغرافية والحساب وعرف شيئاً من العلوم النظرية كالمنطق

---

(١٧) لبث : مكث ، قضى ، بقي . اجتاني من افقه زهراً : انظر في سمائه نجوماً ( اتعجب مما ارى منه واستفيد ). حم الفراق :قرب الفراق . الناعب : الغراب . غاق : حكاية صوت الغراب . دار البقاء : الدار الآخرة ، الجنة .

واللاهوت ومن اللغات كالسريانية والعبرية واليونانية والايطالية والانكليزية .

ولما كان له نحو عشرين عاماً من العمر اتصل بالمبشرين الانكليز والاميركيين فترك مذهبه الماروني واعتنق المذهب البروتستانتي (١) واشتغل معهم يتكسب منهم بتعليمهم اللغة العربية وبترجمة النشرات التبشيرية لهم . ثم إنه اصبح ترجماناً في القنصلية الاميركية .

ولقد تجلى نشاط بطرس البستاني الادبي والعلمي في نواح متعددة :

( أ ) باصدار المجلات : نفير سورية ( ١٨٦٠ م ) ، الجنان ( ١٨٧٠ م ) والجنة ( ١٨٧٠ م ) والجنينة ( ١٨٧١ م ) .

(ب) في وضع كتب مدرسية في الصرف والنحو والحساب .

(جـ) كان من الذين ساعدوا الاميركيين في تنقيح لغة التوراة بعد نقلها الى العربية

(د ) على ان اشهر كتبه :

(١) محيط المحيط ، وهو قاموس للغة العربية مرتب على الاحرف الاولى من الجذور . ان القواميس القديمة تعتبر الحرف الاخير من الجذر اثبت ، ولذلك نجد كلمة « منزل » وجذرها ( نزل ) في ل ــ ن ــ ز . اما بطرس البستاني فرتبها في قاموسه ن ــ ز ــ ل . وقد اضاف بطرس البستاني الى قاموسه كلمات علمية لم تكن معروفة قديماً كما ادخل فيه كلمات عامية ايضاً .

(٢) دائرة المعارف ، وهي قاموس عام للآداب والعلوم والفنون صدر منها ستة اجزاء في حياته وخمسة بعد وفاته بعناية ابنه سليم . ولا تزال دائرة المعارف مبتورة تنتهي عند كلمة « عثمانية » .

والملموح ان قسماً كبيراً منها قد ساعده فيه المبشرون الاميركيون خاصة وانه كان يترجم ما يكتبونه له ، بينما « المواد » العربية في الادب والتاريخ والجغرافية هي ملخصات من الكتب . ومع ان « دائرة المعارف للبستاني » جهد كبير ، فان قيمتها العملية كانت قليلة ثم اصبحت الآن معدومة .

---

(١) راجع :
Jessup, Fifty-Three Years in Syria, I 106, 216; GAL II 495;
الروائع لفؤاد افرام البستاني الجزء ٢٢ ، المعلم بطرس البستاني ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٢٩ ، ص : د

- آراؤه الاجتماعية والاخلاقية :

لبطرس البستاني آراء اجتماعية واخلاقية تتفق مع العصر الذي وجد فيه جبل لبنان ، وهي في الحقيقة نظرات عامة متفرقة مسوقة سياقة ادبية كقوله في خطاب له عنوانه : تعليم النساء :

... لا يخفى ان الانسان ، ذكراً كان او انثى ، عند دخوله عالمنا هذا بالولادة يكون موكولاً بجملته الى عناية غيره وتدبيره. فهو لا يدرك ما حوله من الموضوعات، ولا يستطيع الجد في طلب قوته وباقي احتياجاته . ولا يقدر على تمييز النافع من المضر او الخير من الشر حتى انه اذا ترك لنفسه هلك لا محالة ولو كان قد بلغ السنة الرابعة من عمره . وذلك بخلاف ما نراه من طائفة البهائم وسائر الحيوانات كما لا يخفى . وعند ذلك تكون اعضاء الانسان ضعيفة ، وقوى عقله مظلمة ، ومعرفته قاصرة محصورة في دائرة ضعيفة جداً . ولكن بواسطة ما يعرض على حواسه ظاهراً وباطناً من المواد الطبيعية ، والقضايا العقلية العارية عن المادة ، يأخذ في التقدم شيئاً فشيئاً في ادراك ما حوله ، وتقليده ، والحكم عليه . وتتوسع قواه العقلية والادبية، ومبانيه البدنية بالتدريج ، الى ان يدرك الحد الذي اقامه له باريء الطبيعة ، وحكم عليه بعدم تخطيه ومجاوزته . وهكذا الانسان يتعلم بالاختبار ان النار مثلا تحرق ، والسم يهلك ، ويميز الحلال من الحرام وما يوافق الآداب وما يغايرها، الى غير ذلك. ولا يزال يتقدم في توسيع دائرة عقله وجسمه ، وتهذيب اخلاقه واصلاح سيرته وسريرته ، او غير ذلك ، الى ان يقال فيه انه قد صار اكليلا على رأس الخليقه . هذا وانه يوجد في هذا المعني تفاوت عظيم بين رجل وآخر ، وامرأة واخرى،وبين الرجل والمرأة . فربما استفاد الواحد في سنة مثلا ما لا يحصله الآخر في سنين. وعلى ذلك يكون فرط الاحتياج الى العناية في كل واحد على قدر احتياجه واستعداده واحواله . وهو مسلم ان المرأة تكون في الغالب اقل استعداداً واكثر احتياجاً من الرجل كما سنبينه . ولهذا لكي تقدر على تتميم ما خصها به المولى ، عز وجل ،

من الواجبات اذ اقامها اماً للخليقه ، تحتاج الى صرف عناية اقوى ، وبذل اشد الاهتمام في اعدادها لتكميل واجباتها واتقانها .

ان تركيب جسم المرأة ، داخلا وخارجاً ، وضعف بنيتها واللطافة في مجموع اعضائها ، ترينا انها غير قادرة ، طبعاً ، على مباشرة كثير من الصنائع او الاعمال الشاقة ، كرفع الاثقال مثلا ، وحراثة الارض ، وعمل الحديد ، وبناء البيوت ، ونقل ادوات الحرب على الاعداء الى غير ذلك مما يستدعي بناء متيناً ، ويليق بالرجل دون المرأة ولكن وضع اعضائها على نظام مخصوص ، واقتدارها طبعاً على اعمال كثيرة تناسب تلك الاعضاء ، ووجود بعض فنون اكثر لياقة بها من الرجل ، تحملنا على الحكم بانها لم تخلق لكي تكون في العالم بمنزله صنم يعبد ، او اداة زينة تحفظ في البيت لاجل الفرجة . ولا لان تصرف اوقاتها بالبطالة وكثرة الكلام والهذيان او تقتصر من الاعمال على كناسة البيت مثلا ، والقيام بمهمات الدخان والقهوة ، وايلاد البنين ، وما اشبهها . او ان تمزج طبيعتها بطبيعة الرجل ، واعماله باعماله . حتى لا يبقى ما يميز بينهما الا مجرد البنية والهيئة . اذ لا توجد حالة تجعل لمجموع جهاز المرأة تلك القوة التي للرجل ، ولو مهما ألقى عليها من الاعمال الشاقة المختصة به كما نرى فيما بين البرابرة ، حتى ان حذاق المشرحين يميزون بسهولة وسرعة اعضاءها من اعضائه ، ولو مر عليها في هذه الحالة آلاف من الاجيال المتوالية . وكذا اذا نظرنا الى ما أسبغه الله عليها من القوى العقلية والادبية كالتمييز ، والذاكرة ، وقابلية التعلم والتعليم ، والميل الى الخير والشر ، وهلم جرا ، نستدل على ان هذه القوى لم تعط لها عبثاً من دون غاية ، وبالتالي انه يجب ان يكون لها حق التصرف بها وتهذيبها ، وتوسيعها بحسب الاقتضاء . ولا يصدق ان الباريء ، عز وجل ، قد زين المرأة بهذه الصفات ولكن حرم عليها استعمالها او ان التمييز بين المرأة والبهيم انما يقوم بمجرد وجود هذه القوى فيها مع فقدها منه .

ولا يخفى ان للمرأة اختصاصات ليس للرجل حظ فيها ، وبالعكس . غير انهما قد يشتركان في حقوق متساوية بينهما ، وفي جملتها ما نحن في شأنه . وهل توجد شريعة تمنع الرجل من تحصيل ما لا بد منه لاجل مباشرة ما اشترك فيه من الاعمال

مع المرأة او انفرد بها ، واتقانه جيداً ? فلا يجب اذن ان توجد شريعة او عادة او عائق آخر يمنع المرأة من التمتع بحقها من هذا القبيل . ولا التفات الى من توهم ان المرأة انما خلقت لكي تكون موضوعاً للنسيب والغزل ، ولاجل قيام الكون وبقائه. ولا ريب ان من نزّل المرأة في هذه المنزلة لا يحتاج الا الى جمال قدها ، ومعاينها وكونها مثمرة لا عاقراً وما اشبه . واما ما وراء ذلك فلا سؤال عن وجوده لانه عنده كالعدم . وهو ظاهر ان هذا عند زوال المبدأ الذي يحمله على طلب ذلك فيها ينبذها عنه كارهاً . ولا يعود عند المسكينة شيء من مطلوباته ، او مما يحمله على محبتها او مصادقتها . وعلى مقتضى زعمه يجب ان تكون تلك الجوهرة الكريمة في المرأة التي يلتفت اليها العاقل عندما يستفيق من خمره ، وينتبه من سكرته ، تدفن باقذار الجهل والتوحش . ومع انها قد فاقت ما للرجل في مباحث عديدة ، يجب عنده ، ان تستتر باعمال وخصال تحط شأن هذا الجنس كل الحط وتلحقه بما لا عقل له من الحيوانات . فضلاً عن اضرار ذلك بالكون على انحاء مختلفة كما سنبينه ان شاء الله تعالى .

ولماذا لا نقول عن الرجل انه ، في هذا المعنى بالنظر الى المرأة ، كالمرأة بالنظر اليه . واذا وجد بينهما فرق فيكون قليلاً لا يلتفت اليه . ولو اهمل الرجل من كل عناية ومنع عنه كل وسائط المعرفة والتمدن كما يكون الحال غالباً مع المرأة ، أفما كنا نراه قد تقهقر الى درجة النساء ، اذا لم يتجاوزها انحطاطا ?..

ابراهيم اليازجي

سليمان البستاني

( راجع دراسة مستقلة عن كل واحد منهما في هذا الكتاب )

## جبران خليل جبران

ولد جبران خليل جبران في السادس من كانون الثاني عام ١٨٨٣ ( ١٣٠٠ ﻫ ) في قرية بشرّي ( شمالي لبنان ) وتلقى علومه الاولية في بيروت . ثم انه سافر عام ١٨٩٥ مع اسرته الى مصر فباريس ثم الى بوسطن ( في الولايات المتحدة ) . وبعد ان مكث في بوسطن مدة عاد الى بيروت فبقي فيها اربع سنوات يدرس العلوم العربية في مدرسة الحكمة .

وفي ١٩٠٣ م عاد مع امه الى بوسطن وبدأ يكتب ويؤلف . ولكن نازعته نفسه الى اتقان فن الرسم الذي كان يميل اليه فسافر الى باريس ليتعلم فيها فني النحت والرسم على المثال الفرنسي المشهور اوغست رودان **Rodin** ( ١٨٤٠ — ١٩١٧ م ). وقد مكث جبران في باريس اربع سنوات ( ١٩٠٨ — ١٩١٢ م ) ثم عاد ليستقر في نيويورك بالولايات المتحدة .

ويبدو بجلاء ان اتجاه جبران في الحياة كان اتجاها متشائما . ولقد زاد هذا الاتجاه فيه قوة بعد ان بهرته المدنية المادية في الغرب فانصرف الى قراءة مؤلفات المفكرين الشرقيين الفرس كجلال الدين الرومي وعمر الخيام او البوذيين من الهنود والصينيين ، فظهر اثرهم كلهم بارزاً في كتاباته احياناً ونافراً في الاغلب. ولاريب في انه كان يطالع هذه المؤلفات باللغة الانكليزية .

وقد غلب على جبران التشاؤم فكان قليل الاحتفال بالدين الموروث وبالعادات الموروثة يهاجم رجال الدين ورجال السياسة ويرى السعادة في انصرافه الى التأمل الساذج في الطبيعة . الا انه كان يؤمن بقوة الحب الذي خاب فيه. اذ يقال انه كان قد أحب امرأة اسمها سلمى كرم فخلد حبه القديم لها في قصصه تصريحاً او تلميحا . ولم يكن جبران متحمسا للدويلات الشرقية التي نشأت بعد الحرب العالمية الاولى. وكان يسمي وطنه « سورية » كما فعل جميع المهاجرين في اول الامر . اما « لبنان » فظل عنده جبلًا وديعاً هادئاً او أنه هو اراده ان يظل كذلك .

وتوفي جبران خليل جبران في نيويورك في العاشر من نيسان ١٩٣١ ( في ذي الحجة ١٣٤٩ ) . ثم نقل رفاته الى لبنان ودفن في مسقط رأسه بشري .

ولجبران مقالات وكتب يسودها التفكير الخيالي والانساني الشامل. واسلوبه ضعيف الا انه في شعره اضعف منه في نثره ولكنه قوي العاطفة مؤثر، وخصوصاً في أنفس الشبان.

اما اشهر كتب جبران فهي عرائس المروج، الارواح المتمردة، الاجنحة المتكسرة. وله «المواكب» وهو مجموع شعر صغير. وله ايضاً «النبي» و«يسوع ابن الانسان».

**( أ ) فمن شعر جبران في «المواكب قوله» :**

ليس في الغابات راع — لا ولا فيها القطيعْ
فالشتا يمشي ولكن — لا يجاريه الربيـع
خلق الناس عبيداً — للذي يأبى الخضوع
فاذا ما هب يوماً — سائراً سار الجميـع

وقال ايضاً :

والدين في الناس حقل ليس يزرعه — غير الاولى لهم في زرعـه وطرُ
من آمل بنعيم الخلد مبتشر — ومن جهول يخاف النار تستعر
فالقوم لولا عقابُ البعث ما عبدوا — رباً ولولا الثوابُ المرتجى كفروا
كأنما الدين ضرب من متاجرهم — انواظبوا ربحوا او اهملوا خسروا
والحب ان قادت الاجسام موكبه — الى فراش من الاغراض ينتحر

ويحسن ان نلاحظ ان معاني جبران الشعرية مأخوذة في الاكثر من ابي نواس وابن الرومي والمعري وشوقي (١).

**وردة الهاني ( من الارواح المتمردة ) :**

وامسكت السيدة وردة بيدي وقادتني الى جانب النافذة التي كانت تنظر منها نحو تلك المنازل والقصور وقالت :« تعال فاريك خفايا هؤلاء الناس الذين لم ارض ان اكون مثلهم. انظر الى ذلك القصر ذي الاعمدة الرخامية والجوانح النحاسية والنوافذ البلورية ففيه يسكن رجل غني ورث ماله عن والده البخيل، واكتسب اخلاقه من جوانب الازقة المفعمة بالمفاسد. وقد تزوج منذ عامين بامرأة لم يعرف

---

(١) راجع نقد شعر جبران للدكتور عمر فروخ، مجله الامالي بيروت، المجلد الاول (١٩٣٨—١٩٣٩) : ١١١٩، ١١٤١، ١١٩٨، ١٣٢٦، ١٣٢٩، ١٤٢٩، ١٤٧٧ .

عنها شيئا سوى ان لوالدها شرفا موروثا ومنزلة رفيعة بين نبلاء البلاد .ولم ينقض شهر العسل حتى ملها متضجراً وعاد الى مسامرة بنات الهوى، وتركها في هذا القصر مثلما يترك السكير جرة خمر فارغة. وتوجعت لاول وهلة ثم تصبرت وسلت سلو من عرف خطأه، وعلمت بان دموعها هي اثمن من ان تهرق على خسارة رجل مثل زوجها. وهي الآن مشغولة عن كل شيء بعشق فتى جميل الوجه حلو الحديث تسكب في راحتيه عواطف قلبها وتملأ جيوبه من ذهب بعلها الذي يغض الطرف عنها لأنها تغض الطرف عنه .... ثم انظر الى ذلك البيت المحاط بالحديقة الغناء فهو مسكن رجل ينتمي الى اسرة شريفة حكمت البلاد مدة طويلة ، وقد انخفض مقامها اليوم بتوزيع ثروتها وانصراف ابنائها الى التواني والكسل . وقد اقترن هذا الرجل منذ اعوام بفتاة قبيحة الصورة لكنها غنية جداً. وبعد استيلائه على ثروتها الطائلة نسي وجودها واتخذ له خليلة حسناء وغادرها تنهش اصابعها ندماً وتذوب شوقاً وحنيناً. وهي الآن تصرف الساعات بتجعيد شعرها وتكحيل عينيها وتلوين وجهها بالمساحيق والعقاقير وتزيين قامتها بالاطالس والحرير لعلها تحظى بنظرة من احد زائريها، لكنها لا تحصل الا على نظرات شبحها في المرآة .... ثم انظر الى ذلك المنزل الكبير المزين بالنقوش والتماثيل فهو منزل امرأة جميلة الوجه خبيثة النفس قد مات زوجها الاول فاستأثرت بامواله واملاكه ثم اختارت من بين الرجال رجلا ضعيف الجسم والارادة واتخذته بعلا لتحتمي باسمه من ألسنة الناس وتدافع بوجوده عن منكراتها. وهي الآن بين مريديها كالنحلة تمتص من الزهور ما كان حلواً ولذيذاً . وانظر الى تلك الدار ذات الاروقة الوسيعة والقناطر البديعة فهي مسكن رجل مادي الاميال كثير المشاغل والمطامع، وله زوجة كل ما في جسدها جميل وحسن وكل ما في روحها حلو ولطيف. وقد تماوجت في شخصها عناصر النفس بدقائق الجسد مثلما تتآلف في الشعر نغمة الوزن برقة المعاني، فهي قد كونت لتعيش بالحب وتموت به . لكنها كالكثيرات من بنات جنسها قد جنى عليها والدها قبل بلوغها الثامنة عشرة من عمرها ووضع عنقها تحت نير الزيجة الفاسدة، وهي الآن سقيمة الجسم تذوب كالشمع بحرارة عواطفها المقيدة ، وتضمحل على مهل كالرائحة الزكية امام العاصفة ، وتفنى حباً بشيء

جميل تشعر به ولا تراه، وتصبو حنينا الى معانقة الموت لتتخلص من حياتها الجامدة وتتخلص من عبودية رجل يصرف الايام بجمع الدنانير والليالي بعدها، ويصر اسنانه مجدفاً على الساعة التي تزوج فيها بامرأة عاقر لا تلد له ابناً ليحيا اسمه ويرث ماله وخيراته .... ثم انظر الى ذلك البيت المنفرد بين البساتين فهو مسكن شاعر خيالي سامي الافكار روحي المذهب له زوجة غليظة العقل خشنة الطباع تسخر باشعاره لأنها لا تفهمها وتستهزىء باعماله لأنها غريبة . وهو الآن مشغول عنها بمحبة امرأة اخرى متزوجة تتوقد ذكاء وتسيل رقة وتولد في قلبه النور بانعطافها وتوحي اليه الاقوال الخالدة بابتساماتها ونظراتها ».

— وسكتت السيدة وردة هنيهة وقد جلست على مقعد بجانب النافذة كأن نفسها قد تعبت من التجول في مخادع تلك المنازل الخفية . ثم عادت تقول بهدوء : « هذه هي القصور التي لم ارض ان اكون من سكانها . هذه هي القبور التي لم ارد ان ادفن حية طي لحودها . هؤلاء الناس الذين تخلصت من عوائدهم وخلعت عني نير جامعتهم ، هؤلاء هم المتزوجون الذين يقترنون بالاجساد ويتنافرون بالروح ولا شفيع بهم امام الله سوى جهلهم ناموس الله . انا لا ادينهم الآن بل اشفق عليهم ، ولا اكرههم بل اكره استسلامهم عفواً الى الرياء والكذب والخباثة . ولم اكشف امامك خفايا قلوبهم واسرار معيشتهم لانني لا (?) احب الاغتياب والنميمة بل فعلت ذلك لأريك حقيقة قوم كنت بالامس مثلهم فنجوت، وابين لك معيشة بشر يقولون عني كل كلمة شديدة لانني خسرت صداقتهم لاربح نفسي وخرجت عن سبل خداعهم المظلمة وحولت عيني نحو النور حيث الاخلاص والحق والعدل . وقد نفوني الآن من جامعتهم وانا راضية لأن البشر لا ينفون الا من تمردت روحه الكبيرة على الظلم والجور . ومن لا يؤثر النفي على الاستعباد لا يكون حراً بما في الحرية من الحق والواجب . انا كنت بالامس مثل مائدة شهية وكان رشيد بك يقترب مني عندما يشعر بحاجة الى الطعام، اما نفسانا فتظلان بعيدتين كخادمين ذليلين. ولما رأيت المعرفة كرهت الاستخدام . وقد حاولت الخضوع لما يدعونه نصيباً فلم اقدر لأن روحي ابت ان اصرف العمر كله راكعة امام صنم مخيف أقامته الاجيال المظلمة

ودعته الشريعة . فكسرت قيودي لكنني لم ألقها عني حتى سمعت الحب مناديا ورأيت النفس متأهبة للمسير . فخرجت من منزل رشيد نعمان خروج الاسير من سجنه تاركة خلفي الحلى والحلل والخدم والمركبات ، وجئت بيت حبيبي الخالي من الرياش المملوء من الروح وانا عالمة بانني لم افعل غير الحق والواجب ، لان مشيئة السماء ليست بان اقطع جناحي بيدي وارتمي على الرماد حاجبة رأسي بساعدي ساكبة حشاشتي من اجفاني قائلة هذا نصيبي من الحياة . ان السماء لا تريد ان اصرف العمر صارخة متوجعة في الليالي قائلة متى يجيء الفجر ، وعندما يجيء اقول متى ينقضي هذا النهار . ان السماء لا تريد ان يكون الانسان تعساً لانها وضعت في اعماقه الميل الى السعادة لانه بسعادة الانسان يتمجد الله ... هذه هي حكايتي ايها الرجل ، وهذا احتجاجي امام السماء والارض ، وانا اردده واترنم به ، والناس يغلقون آذانهم ولا يسمعون لانهم يخشون ثورة ارواحهم ويخافون ان تتزعزع اسس جامعتهم وتهبط على رؤوسهم . هذه هي العقبة التي سرت عليها حتى بلغت قمة سعادتي ، ولو جاء الموت واختطفني الآن لوقفت روحي امام العرش الاعلى بلا خوف ولا وجل بل بفرح وامل وانجلت لفائف ضميري امام الديان الاعظم وبانت نقية كالثلج لأنني لم افعل غير مشيئة النفس التي فصلها الله عن ذاته ولم اتبع غير نداء القلب وصدى اغاني الملائكة . هذه هي روايتي التي يحسبها سكان بيروت لعنة في فم الحياة وعلة في جسم الهيئة الاجتماعية . ولكنهم سوف يندمون عندما تنبه الايام محبة المحبة في قلوبهم المظلمة مثلما تستنبت الشمس الزهور من بطن الارض المملوء من بقايا الاموات ، فيقف اذ ذاك عابر الطريق بجانب قبري ويلقي عليه السلام قائلا : ههنا رقدت وردة الهاني التي حررت عواطفها من عبودية الشرائع البشرية لتحيا بناموس المحبة الشريفة ، وحولت وجهها نحو الشمس كيلا ترى ظل جسدها بين الجماجم والاشواك » .

## (د) لكم لبنانكم ولي لبناني

كان هـذا المقال قـد ظهر في مجلة الهلال ( ١:٢٩ ، تشرين الاول ١٩٢٠ ، ص ١٩ ) ولكن حكومة الانتداب الافرنسي منعت مجلة الهلال من دخول سورية ولبنان ما دام فيها هذا المقال . ولذلك نزع هذا المقال منها . والنص المثبت هنا مأخوذ من صفحات فصلت من مجلة الهلال نفسها :

لكم لبنانكم ، ولي لبناني .

لكم لبنانكم ومضلاته ، ولي لبناني وجماله .

لكم لبنانكم بكل ما فيه من الاغراض والمنازع ، ولي لبناني بما فيه من الاحلام والاماني .

لكم لبنانكم فاقتنعوا به ، ولي لبناني وانا لا اقنع بغير المجرد المطلق .

لبنانكم عقدة سياسية تحاول حلّها الايام ، اما لبناني فتلول تتعالى بهيبة وجلال نحو ازرقاق السماء .

لبنانكم مشكلة دولية تتقاذفها الليالي ، اما لبناني فأودية هادئة سحرية تتموج في جنباتها رنات الاجراس واغاني السواقي .

لبنانكم صراع بين رجل جاء من الغرب ورجل جاء من الجنوب . اما لبناني فصلاة مجنحة ترفرف صباحاً عندما يقود الرعاة قطعانهم الى المروج ، وتتصاعد مساء عندما يعود الفلاحون من الحقول والكروم .

لبنانكم حكومة ذات رؤوس لا عداد لها ، اما لبناني فجبل رهيب وديع جالس بين البحر والسهول جلوس شاعر بين الابدية والابدية ..

لبنانكم حيلة يستخدمها الثعلب عندما يلتقي بالضبع والضبع عندما يلتقي بالذئب ، اما لبناني فتذكارات تعيد على مسمعي اهازيج الفتيات في الليالي المقمرة واغاني الصبايا بين البيادر والمعاصر .

لبنانكم مربعات شطرنج بين رئيس دين وقائد جيش ، اما لبناني فمعبد ادخله بالروح عندما امل النظر الى وجه هذه المدنية السائرة على الدواليب .

لبنانكم رجلان ، رجل يؤدي المكوس ورجل يقبضها ، اما لبناني فرجل فرد

متكىء على ساعده في ظلال الارز وهو منصرف عن كل شيء سوى الله ونور الشمس.

لبنانكم مرافىء وبريد وتجارة ، اما لبناني ففكرة بعيدة وعاطفة مشتعلة وكلمة علوية تهمسها الارض في اذن الفضاء .

لبنانكم موظفون وعمال ومديرون ، اما لبناني فتأهب الشباب وعزم الكهولة وحكمة الشيخوخة .

لبنانكم وفود ولجان ، اما لبناني فمجالس حول المواقد في ليال تغمرها هيبة العواصف ويجللها طهر الثلوج .

لبنانكم طوائف واحزاب ، اما لبناني فصبية يتسلقون الصخور ويركضون مع الجداول ويقذفون الاكر في الساحات .

لبنانكم خطب ومحاضرات ومناقشات ، اما لبناني فتغريد الشحارير ، وحفيف اغصان الحور والسنديان ، ورجع صدى النايات في المغاور والكهوف .

لبنانكم كذب يحتجب وراء نقاب من الذكاء المستعار ، ورياء يختبيء في رداء من التقليد والتصنع ، اما لبناني فحقيقة بسيطة عارية اذا نظرت في حوض ماء ما رأت غير وجهها الهادىء وملامحها المنبسطة .

لبنانكم شرائع وبنود على اوراق ، وعقود وعهود في دفاتر ، اما لبناني ففطرة تعلم اسرار الحياة وهي لا تعلم انها تعلم ، وشوق يلامس في اليقظة اذيال الغيب ويظن نفسه في منام .

لبنانكم عجوز قابض على لحيته ، قاطب ما بين عينيه ، ولا يفكر الا بذاته ، اما لبناني ففتى ينتصب كالبرج ويبتسم كالصباح ويشعر بسواه شعوره بنفسه .

لبنانكم ينفصل آناً عن سوريا ويتصل بها آونة ثم يحتال على طرفيه ليكون بين معقود ومحلول ، اما لبناني فلا يتصل ولا ينفصل ولا يتفوق ولا يتصاغر .

* * *

لكم لبنانكم ، ولي لبناني .

لكم لبنانكم وابناؤه ، ولي لبناني وابناؤه .

ومن هم يا ترى ابناء لبنانكم ؟

ألا فانظروا هنيهة لاريكم حقيقتهم .

هم الذين ولدت ارواحهم في مستشفيات الغربيين .

هم الذين استيقظت عقولهم في حضن طامع يمثل دور أريحي .

هم تلك القضبان اللينة التي تميل الى اليمين والى اليسار ولكن بدون ارادة ، وترتعش في الصباح وفي المساء ولكنها لا تدري انها ترتعش.

هم تلك السفينة التي تصارع الامواج وهي بدون دفة ولا شراع ، اما ربانها فالتردد واما ميناؤها فكهف تسكنه الغيلان — أوليست كل عاصمة في اوربا كهفاً للغيلان ؟

هم الاشداء الفصحاء البلغاء ولكن بعضهم لدى بعض ، والضعفاء الخرسان امام الافرنج .

هم الاحرار المصلحون المتحمسون ولكن في صحفهم وفوق منابرهم. والمنقادون الرجعيون امام الغربيين .

هم الذين يضجون كالضفادع قائلين « لقد تخلصنا من عدونا الطاغية القديم » وعدوهم القديم الطاغية ما برح يختبىء في اجسادهم .

هم الذين يسيرون امام الجنازة مزمرين راقصين ، حتى اذا ما التقوا بموكب تحول تزميرهم الى نواح ورقصهم الى قرع الصدور وشق الاثواب .

هم الذين لا يعرفون المجاعة الا اذا كانت في جيوبهم ، فاذا ما التقوا بمن كانت مجاعته في روحه ضحكوا منه وتحولوا عنه قائلين : « ما هذا سوى خيال يسير في عالم الاخيلة » .

هم اولئك العبيد الذين تبدل الايام قيودهم المصدآة بقيود لامعة فيظنون انهم اصبحوا احراراً مطلقين .

هؤلاء هم ابناء لبنانكم فهل بينهم من يمثل العزم في صخور لبنان ام النبل في ارتفاعه ام العذوبة في مائه ام العطر في هوائه ؟ هل بينهم من يتجرأ ان يقول « اذا ما مت تركت وطني افضل قليلا مما وجدته عندما ولدت » ؟ هل بينهم من يتجرأ ان يقول « لقد كانت حياتي قطرة من الدم في عروق لبنان او دمعة بين اجفانه

او ابتسامة على ثغره » ؟

هؤلاء هم ابناء لبنانكم فما اكبرَهم في عيونكم وما اصغرهم في عيني !

ولكن قفوا قليلا وانظروا لاريكم ابناء لبناني .

هم الفلاحون الذين يحولون الوعر الى حدائق وبساتين .

هم الرعاة الذين يقودون قطعانهم من واد الى واد فتنمو وتتكاثر وتعطيكم لحومها غذاء وصوفها رداء .

هم الكرّامون الذين يعصرون العنب خمراً ويعقدون الخمر دبسا .

هم الآباء الذين يربون انصاب التوت والامهات اللواتي يغزلن الحرير .

هم الرجال الذين يحصدون الزرع والزوجات اللواتي يجمعن الاغمار .

هم البناؤون والفخارون والحائكون وصانعو الاجراس والنواقيس .

هم الشعراء الذين يسكبون ارواحهم في كؤوس جديدة .

وهم شعراء الفطرة الذين ينشدون العتابا والمعنى والزجل .

هم الذين يغادرون لبنان وليس لهم سوى حماسة في قلوبهم وعزم في سواعدهم ويعودون اليه وخيرات الارض في اكفهم واكاليل الغار على رؤوسهم .

هم الذين يتغلبون على محيطهم اينما حلوا ويجتذبون القلوب اليهم اينما وجدوا .

وهم الذين يولدون في الاكواخ ويموتون في قصور العلم .

هؤلاء هم ابناء لبناني .

هؤلاء هم السرج التي لا تطفيها الارياح ، والملح الذي لا تفسده الدهور .

هؤلاء هم السائرون باقدام ثابتة نحو الحقيقة والجمال والكمال .

* * *

وماذا عسى ان يبقى من لبنانكم وابناء لبنانكم بعد مئة سنة ؟

اخبروني — ماذا تتركون للغد سوى الدعوى والتلفيق والبلادة ؟

هل تحسبون ان الزمن يحفظ في ذاكرته مظاهر الخداع والمداهنة والتدليس ؟

اتظنون ان الاثير يخزن في جيوبه اشباح الموت وانفاس القبور ؟

اتتوهمون ان الحياة تستر جسدها العاري بالخرق البالية ؟

اقول لكم والحق شاهد علي إن نصبة الزيتون التي يغرسها القروي في سفح لبنان لأبقى من جميع اعمالكم ومآتيكم ، والمحراث الخشبي الذي تجره العجول في منعطفات لبنان لاشرف وانبل من كل امانيكم ومطامحكم .

اقول لكم وضمير الوجود صاغ اليّ ان اغنية جامعة البقول بين هضاب لبنان لأطول عمراً من كل ما يقوله اوجه واضخم ثرثار بينكم .

اقول لكم انكم لستم على شيء . ولو كنتم تعلمون انكم لستم على شيء لتحول اشمئزازي منكم الى شكل من العطف والحنان ، ولكنكم لا تعلمون .

لكم لبنانكم ، ولي لبناني .

لكم لبنانكم وابناء لبنانكم فاقتنعوا به وبهم ان استطعتم الاقتناع بالفقاقيع الفارغة .

اما انا فمقتنع بلبناني وابنائه وفي اقتناعي عذوبة وسكينة وطمانينة .

ولي الدين يكن

راجع دراسة مستقلة لحياته وادبه في هذا الكتاب .

## التمثيل المسرحي والشعر التمثيلي

اذا اردنا ان نربط التمثيل بالمسرح الفني ، فالعرب لم يكن عندهم تمثيل . اما اذا قصدنا بالتمثيل ذلك الفن الادبي الذي يجري في حوار يدور بين شخصين او أكثر من شخصين ، مع شيء من التكلف في الاعمال والمواقف — جداً او هزلا — فالادب العربي كان منذ اقدم عصوره غنياً في هذا الفن . على اننا هنا نهتم بنشأة أدب « التمثيل المسرحي » لا بالادب التمثيلي فحسب ، ولذلك نجد ان جهود العرب في هذه الناحية كانت محدودة جداً .

ولكن لا يجوز ان نمر في هذا البحث من غير ان نشير الى ان في قصص الجاهلية ورواياتها وشعرها ثم في الاسمار والمقامات عناصرَ كثاراً مختلفة من عناصر الادب التمثيلي . ولا ريب في ان « التشبيه » اي تمثيل مأساة كربلاء — وهو ما كان يجري في العراق الى عهد قريب ويعرف باسم « السبايا » — فن تمثيلي لا شك فيه . ولقد كان هذا الفن المسرحي الديني قديماً ايضاً . ومع ان التشبيه — وهو من فن المآسي — يمكن ان يكون قديماً جداً ، فان التمثيل الهزلي في الادب العربي يكاد يكون قديماً قدم الادب العربي نفسه .

وهنالك ايضاً « خيال الظل » ، وهو من التمثيل . والتمثيل في خيال الظل يجري على الشكل التالي :

يُنصب ستار ابيضُ يوضع وراءه مصباح منير ، ويترك المكان الذي امام الستار — والذي يجتمع فيه النظّارة — مظلماً . بعدئذ يقوم شخصان وراء الستار مباشرة ، معترِضَين بين الستار وبين المصباح المنير فيظهر خيالهما واضحاً قوياً على الستار . ثم يقوم هذان الشخصان بسلسلة من الحركات او يتماسكان ، مما يبعث على الضحك . لقد كان خيال الظل سينما فطرية صامتة .

●

على ان التمثيل الفني لم تعرفه اللغة العربية الا بعد ان احتك الادباء العرب

بالادب الغربي الحديث (١)

وفي ما يلي لمحة تستعرض تطور فن التمثيل :

(أ) عند اليونان : نشأ التمثيل عند اليونان من خرافاتهم ، وكانت مواسمه أيام احتفالاتهم الدينية . وقد كان اهتمام اليونان الاول بالمسرح دون الوضع الروائي . او بكلمة ثانية ، ان اليونان كانوا يستغلون قصة قديمة او فكرة شائعة يقربونها الى اذهان العامة وخيالهم من طريق تمثيلها ، ولم ينصرف همهم الى وضع تمثيليات معينة الا بعد أعصر . وهكذا كان التمثيل الاول عند اليونان دينياً وثنياً . ثم كثرت التمثيليات وتنوعت واستقر المسرح اليوناني ونشأ الفن التمثيلي على الحصر .

ولما جاء ارسطو في القرن الرابع قبل الميلاد كانت التمثيلية اليونانية قد بلغت ذروتها فاستعرض خصائصها واستنتج الوحدات الثلاث : وحدة الزمان ووحدة المكان ووحدة الموضوع (٢).

(ب) طلائع التمثيل الاوروبي : وخمد فن التمثيل في اوروبة بعد اليونان زمناً طويلا ، حتى رأت الكنيسة الكاثوليكية استثارة الحمية الدينية او الخشوع في نفوس اتباعها فلجأت الى التمثيل. وكان من الطبيعي ألا يبدأ التمثيل — على ذلك — في العصور الوسطى من حيث انتهى اليونان ، بل من حيث بدأوا : بالتمثيل الديني. وهكذا نشأ التمثيل الطقسي المسيحي ، منذ القرن الحادي عشر للميلاد. هذا التمثيل كان يدور في الكنيسة نفسها ، ثم انتقل فيما بعد الى باحة الكنيسة . اما الممثلون فكانوا الكهنة والمتصلين بخدمة الكنيسة ، وكانت لغة التمثيل اللغة اللاتينية . واما موضوعات التمثيل فكانت من حياة المسيح في الاكثر .

وفي القرن الثاني عشر دخل التمثيل في طور جديد اذ لم يبق قاصراً على حياة المسيح بل تعداها الى موضوعات غير دينية بحت كخلق آدم .

ومنذ القرن الثالث عشر (٣) في الاغلب حدث تطور جديد في التمثيل الديني

---

(١) يحسن الرجوع الى مجلة العروة ، يحررها فريق من الطلبة في جامعة بيروت الاميركية، السنة الخامسة، العدد الاول، كانون الثاني ١٩٤٠ ، عدد خاص ، المسرح والادب العربي.

(٢) راجع احمد شوقي للدكتور عمر فروخ ، الطبعة الثانية ، ص ٦٠ - ٦١ .

(3) Cf. Hist. illustrée de la Lit. Frse; par E. Abry, C. Audic et P. Crouzet, Paris — Toulouse 1935, p 37

فقد ابتعد ايضاً عن التوراة ،فان جان بودل(١) وضع قصة القديس نقولا وبنى نصفها الاول على جماعة من النصارى يقاتلون الكفار ( يقصد المسلمين ) في الارض المقدسة (فلسطين ). إن هذه القصص التي يظهر فيها القديسون او العذراء ويأتون بالمعجزات تسمى « العجائب » . وكان ثمت نوع آخر من التمثيل الديني يسمى « الاسرار » ، وكانت الاسرار تدور حول قصص دينية مختلفة يقوم بتمثيلها ممثلون محترفون . ثم منع هذا النوع من التمثيل في اواسط القرن السابع عشر واختفى في آخر هذا القرن نفسه.

ولم يقتصر الفن التمثيلي على النواحي الدينية الرصينة بل نشأ منذ القرن الثالث عشر ايضاً تمثيل هزليّ استمر بلا انقطاع الى القرن الخامس عشر ولكنه ظل فطرياً بعيداً عن التثقيف الصحيح ، لان الغاية منه كانت الاضحاك .

وفي اواسط القرن السادس عشر للميلاد تطور المسرح الاوروبي تطوراً عظيما في المأساة والمهزلة معاً ، حينما وضع جودل ( ٢ ) ( ١٥٣٢ — ١٥٧٣ م ) رواية كليوباطرة (شعراً )ومثلها عام ١٥٥٣ م. اما نهضة المسرح الاوروبي العظمى فكانت في القرن السابع عشر حينما ظهر في فرنسة روائيون اعلام اشهرهم موليير وراسين و كورناي . وقد ظهر في انكلترة امثالهم ،واشهرهم كلهم شكسبير . ومع هؤلاء العباقرة بلغت المسرحية ، في المأساة وفي المهزلة ، ذروتها من حيث الادب والفن والتمثيل . ولقد كان موليير وشكسبير مؤلفين روائيين وممثلين معاً . وفي هذه الاثناء ايضاً كان التمثيل ينشأ ويرقى في إيطالية .

●

كل هذا كان يحدث والادب العربي في معزل عنه ، ذلك لان الشرق الحديث لم يكن بعدُ قد احتك بالغرب الحديث .

(جـ) في الشرق العربي : لما جاء بونابرته الى مصر سنة ١٢١٤ ﻫ ( ١٧٩٩ م ) جاء معه علماء وادباء. ولقد انشأ رجال الحملة الفرنسية في مصر مسرحاً لتمثيل الروايات المختلفة للجنود ، وباللغة الافرنسية طبعاً . ويبدو بوضوح ان هذا المسرح كان قليل الاثر في حياة ادباء العرب انفسهم .

---

(1) Jean Bodel

(2) Étienne Jodelle شاعر مسرحي فرنسي

## مارون نقاش

واول محاولة للشعر التمثيلي العربي قام بها مارون النقاش .

ولد مارون النقاش في صيداء في ٩ شباط ١٨١٧ ( ١٢٣٢ ﻫ ) ثم انتقل مع اسرته الى بيروت وله من العمر نحو سبع سنوات . وفي عام ١٨٤٦ م (١٢٦٢ ﻫ) سافر الى الاسكندرية ثم الى ايطالية . وفي ايطالية شهد الفن التمثيلي وتأثر به ، فما أن رجع الى بيروت حتى نازعته نفسه الى هذا الفن الجميل فعمد الى رواية «البخيل» للروائي الافرنسي موليير ونقلها بتصرف الى اللغة العربية ثم مثلها في بيته في مطلع عام ١٨٤٨ م (١٢٦٤ ﻫ ).

ولقد حاول مارون النقاش تأليف عدد من الروايات الهزلية ( تأثراً برواية البخيل لموليير ) ، فانه ألف عام ١٨٥٠ م رواية ابي الحسن المغفل ومثلها في بيته ايضاً . وبعد مدة استطاع ان يبني مسرحاً مستقلا بجانب بيته ومثل فيه رواية « الحسود » .

وتوفي مارون النقاش في حزيران عام ١٨٥٥ (١٢٧١ ﻫ ) في اثناء سفرة تجارية الى طرسوس ، بعد ان بدأ النهضة التمثيلية في لبنان .

ومن خصائص مارون نقاش انه كان ميالا الى الروايات الهزلية والى الموسيقى، ولذلك امتلأت رواياته بالاغاني . وكان مارون النقاش يؤلف رواياته وينظم لها الاغاني ثم يلحن تلك الاغاني. ثم كان هو المخرج لرواياته .

## احمد القباني

وبينما كان مارون النقاش يقوم بنهضته التمثيلية على الساحل كانت دمشق تشهد عبقرياً آخر يشغف بالتمثيل وينشىء مسرحاً تألق نجمه زمناً . ذلك هو الشيخ ابو خليل احمد القباني . الا ان القباني كان ميله الى الثقافة العربية الاسلامية فكان من

رواياته : هرون الرشيد ، ولاّدة ، ابو جعفر المنصور . وكانت رواياته هذه مملوءة بالاغاني ايضاً اذ كان القباني موسيقياً بارعاً . وضاقت دمشق بالمسرح الجديد ثم لم تتسع له بيروت ، اذ كانت بيروت قد ضاقت من قبل بمسرح النقاش ، ولذلك قصد القباني الى مصر فلقيت رواياته هنالك رواجاً عند الجمهور المصري .

•

ولا نرى ان صورة النهضة الحديثة تتم الا اذا ذكرنا الاسماء والارقام التالية :

كان لمدارس التبشير تأثير كبير على نشر العلم بين النصارى من اهالي لبنان خاصة . على ان هنالك نفراً من الادباء نشأوا نشأة مستقلة عن مدارس الارساليات التبشيرية فشبوا ادباء بالسليقة وعلماء بالمثابرة الشخصية ، منهم الشاعر عمر الانسي البيروتي المتوفى سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) ، ومنهم الاديب الشاعر الحاج حسين بيهم بن السيد عمر بن السيد الحسين بيهم العيتاني ، ولد في بيروت سنة ١٢٤٩ هـ (١٨٣٣م). وقد تلقى حسين بيهم العلم على جهابذة عصره امثال الشيخ عبدالله خالد والشيخ محمد الحوت ولما شب وتفتقت مواهبه عن كنوزها الغالية دعي الى تولي المناصب الادارية والسياسية العالية . غير انه انصرف فيما بعد عن تلك المناصب وعن التجارة التي كان اهله من قادة زمامها ليقف وقته على الادب والعلم والاحسان ، حتى اصبح له في الوجاهة والزعامة والخير والعلم والادب مقام قل أن بلغ اليه بالغ ، فقد كان عضواً في مجلس ايالة صيداء الكبير وفي محكمة استئناف التجارة وفي المجلس البلدي وفي مجلس الادارة . وكذلك تولى رئاسة الجمعية العلمية السورية وكان عضواً في جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت . وكذلك مثل بيروت في مجلس النواب العثماني عام ١٨٧٨م. وتوفي الحاج حسين بيهم في ٢٤ صفر ١٢٩٨ ( ٢٤ كانون الثاني ١٨٨١ م ).

ومن جبابرة النهضة الحديثة الفقيه الاديب الصحافي الشيخ يوسف الاسير .

ولد الشيخ يوسف بن عبد القادر الحسيني الاسير في مدينة صيداء في ذي العقدة ١٢٣٠ ( تشرين الاول ١٨١٥ ) فدرس العلم في صيداء ودمشق . ثم انه ذهب الى القاهرة ودرس في الازهر سبع سنوات برع في اثنائها في التفسير والحديث والفقه والتوحيد وفي اللغة والشعر والمنطق . وبعدئذ رجع الى صيداء ولكن لم تطل اقامته بها فسافر

الى طرابلس واقام فيها ثلاث سنوات فاخذ عنه العلم كثير من الفضلاء كالسيد يوحنا الحاج بطريرك الموارنة ويوحنا الحبيب مؤسس جمعية المرسلين المارونية .

بعدئذ عاد الى بيروت فاصبح باشكاتب المحكمة الشرعية . وفي هذه الاثناء كان الاميركان ينقلون الكتاب المقدس الى اللغة العربية فتولى تصحيح لغته لهم . ثم انه انتقل الى الاستانة فعين استاذ اللغة العربية في دار المعلمين . ولما عاد الى بيروت انصرف ايضاً الى تعليم اللغة العربية في المدرسة الوطنية للمعلم بطرس البستاني، وكان من عمدتها . وعلّم ايضاً في مدرسة الحكمة للمطران الدبس وفي الكلية الاميركية وفي مدرسة الثلاثة الاقمار . وكذلك تعلم عليه اللغة العربية غريغوريوس الرابع بطريرك الروم الارثوذكس والدكتور مرتين هرتمان استاذ اللغة العربية في مدرسة الالسن الشرقية في برلين . وكان قد حرر في جريدة الجوائب في الاستانة وتولى رئاسة التحرير في مجلة ثمرات الفنون وجريده لسان الحال (١).

وتوفي الشيخ يوسف الاسير في بيروت مساء يوم الجمعه في السادس من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٠٧ ( ٢٤ تشرين الثاني ١٨٨٩ ) ، وصُلي عليه يوم السبت في الجامع العمري الكبير ورثاه في الجامع الشيخ سليم الجارودي ، ثم دفن في مقبرة الباشورة خارج مدينة بيروت .

ولقد رثاه كثيرون بمراث جمعت في كتيب كتب مقدمته الشيخ ابراهيم الاحدب، وكتب ترجمته فيه قاسم ابو الحسن الكستي . اما القصائد التي رثي بها فهي للشعراء الآتية اسماؤهم ( حسب ترتيبها في الكتيب ) :

الشيخ ابراهيم الاحدب — الشيخ قاسم ابو الحسن الكستي — علي ابي المواهب الدجاني — الشيخ مصطفى نجا — حسن بيهم — محمد اللبابيدي — المعلم ابراهيم الحوراني — الشيخ فضل القصار — الشيخ محمد الكستي — الشيخ ابراهيم المجذوب — الشيخ عبد الرحمن سلام — محمد الحاج حسن عبدالله ( من خيام مرجعيون ) — فارس شقير — السيد محسن امين(٢) — سعيد حمدان — راغب عز الدين — محيي الدين الخياط — نسيب ارسلان — راغب البزري — الياس حنيكاتي — محمد زين الدين —

(١) تاريخ الصحافة العربية ١ : ١٣٥ ـ ١٣٨ .
(٢) توفي ٤ رجب ١٣٧١ هـ — ٣٠ آذار ١٩٥٢

احمد عمر الخطيب – فرحان حمادي – حسن حمادي – الياس جرجس الشدياق – سليم سجعان ابي ياغي .

ولقد قسا الدهر على مؤلفات الشيخ يوسف الاسير فاحترق القسم الاوفر منها بالنار . ولكن كان قد ظهر منها شرح رائد الفرائض في الفقه ، وله ايضاً شرح اطواق الذهب للزمخشري . وله ديوان فيه شيء من المقطوعات والموشحات مما سلم من النار سماه « الروض الاريض » وقد قرظه الشيخ ناصيف اليازجي .

●

ومما ساعد النهضة الحديثة في العلم والادب نشأة الجمعيات المختلفة والمدارس النظامية وتأسيس المطابع واصدار الصحف والمجلات وانشاء الاندية . ولا ريب في ان الفضل الاعظم في المحافظة على الشعلة العربية في العلم والادب كان للجامع الازهر الذي احتضن الفقه والادب واللغة في اثناء العصور المظلمة كلها ، ثم اداها الناسليمة خالصة من جميع الشوائب . وكذلك كان شأن المساجد في جميع البلاد الاسلامية ، نخص بالذكر منها جامع الزيتونة في تونس ومدارس النجف بالعراق ، والجامع الاموي في دمشق .

ثم نشأت الجمعيات التي حرصت على التعليم في الدرجة الاولى ، فكان اشهرها واقدمها جمعية المقاصد الخيرية الاسلامية في بيروت ( ١٢٩٦ هـ–١٨٨٠ م ) ، والجمعية الخيرية في دمشق ( ١٢٩٤ هـ) لانشاء المدارس وترقية المعارف ، وقد تولت هذه الجمعية انشاء المكتبة الظاهرية المشهورة . ومنذ ذلك الحين توالى انشاء الجمعيات والمدارس الوطنية والاجنبية في سورية والعراق ومصر، كالجمعية السورية التي انشأها الاميركان عام ١٨٤٧م والمدرسة الكلية السورية الانجيلية ( الجامعة الاميركية الآن)، وقد انشئت عام ١٨٦٣ م، ثم الكلية اليسوعية ( ١٨٧٤ م ) .

●

وفيما يلي دراسات مستقلة شبه مفصلة في اربعة ادباء معاصرين :

# ١ ــ الشيخ ابراهيم اليازجي

١٢٦٣ - ١٣٢٤ هـ . ١٨٤٧ - ١٩٠٦ م

## موجز ترجمته

اصل آل اليازجي من روم حمص ... هاجر قوم منهم في العشر الاخير من القرن السابع عشر الى لبنان فسكنوا جهة الغرب... وكان بعضهم قد دخل في خدمة الدوله ( العثمانية ) في اواسط القرن الثامن عشر بصفة كاتب فعرف باسم « يازجي » ( بمعنى كاتب في التركية ) .

ولد ابراهيم اليازجي في ٢ آذار ١٨٤٨ (اواخر ١٢٦٣ هـ ) في بيروت وتعلم على والده الشيخ ناصيف اللغة والادب . ثم تعلم الافرنسية ، ودرس العبرية والسريانية على نفسه ، وبرع في الرياضيات . وقرأ مبادىء الفقه الحنفي على الشيخ محي الدين اليافي من مشاهير ائمة بيروت . وفي ١٨٧٢ م دعاه اليسوعيون الى مدرستهم في غزير لمساعدتهم في تنقيح لغة التوراة التي كانوا ينقلونها يومذاك الى العربية ، فمكث يعمل في ذلك تسع سنوات في غزير وفي بيروت . وقد ساعد ايضاً بعض المؤلفين في تنقيح لغة كتبهم .

واحب الشيخ ابراهيم اليازجي الاشتغال بالصحافة فأصدر اولى جرائده ( النجاح ) عام ١٨٧٢ ولكنه حجبها قبل ان يمر عام على انشائها . وبعد ان ترك اليسوعيين علم في المدرسة البطريركية ، ثم أصدر بالاشتراك مع الدكتورين بشاره زلزل وخليل سعاده مجلة الطبيب ( ١٨٨٤ م ) فلم تعش اكثر من عام واحد . وفي ١٨٩٧ م هاجر الى مصر وانشأ بالاشتراك مع الدكتور زلزل مجلة البيان ولكنه انفصل عنه بعد عام واحد . واخيراً اصدر الشيخ ابراهيم مجلة الضياء ( ١٨٩٨ ) واستمر في اصدارها حتى وفاته ( ٢٨ كانون الاول ١٩٠٦ و ١٣٢٤ هـ ) (١)

**عناصر شخصيته ومقامه الادبي :** نظم ابراهيم اليازجي الشعر ولكن ميزته انما كانت في النثر . وكان قليل الانتاج الصحيح كان اكثر عمله تصحيح بعض كتب الادباء وشرح بعض الكتب الاخرى او كتابة المقالات المختلفة ، ولم يؤلف « كتاباً » بالمعنى المتعارف قط ، وانما كانت اكثر آثاره « مجموعات » مما نشر في الصحف والمجلات ، او مختصرات من كتب ابيه . وقد اتم شرح ديوان المتنبي

---

(١) راجع ترجمته المفصلة في تاريخ الصحافة العربية للفيكونت فيليب دي طرازي ٢ : ٨٨-٩٨

« العَرف الطيّب » الذي كان والده الشيخ ناصيف قد بدأه. اما ابرز آثاره فكتاب « نجعة الرائد في المترادف والمتوارد » في جزأين . وقد جرى فيه على طريقة كتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن الهمذاني . واراد وضع قاموس وباشر فيه ولكنه لم يتيسر له اتمامه .

ومع ان اليازجي اشتغل مع اليسوعيين فانه هاجمهم مهاجمة عنيفة حتى قال عنه الاب لويس شيخو اليسوعي : « فادى به طبعه الى كتابة فصول ما كنا ننتظرها من مثله ، اطلق فيها العنان لاهوائه وانتهك في بعضها حقوق الدين واربابه ، سامحه الله » .

وبما ان نشاطه الادبي كان في العصر الحميدي ( عهد السلطان عبد الحميد الثاني ) فانه قد انبرى لتقبيح الظلم والاستبداد ولدعوة العرب الى التضامن والجهاد. وله في ذلك قصائد نشرها غُفلا من التوقيع اشهرها بلا ريب قصيدته البائية التي يقول فيها :

تَنَبَّهوا وَاْستَفيقُوا أَيُّها العَرَبُ فَقَدْ طَمَى السَيلُ حتّى غاصت الرُّكَبُ
فِيما التَّعَلُّلُ بالآمالِ تَخدَعُكُم وَانْتُم بَيْنَ راحاتِ القَنا سُلُبُ ؟
كَم تُظلَمونَ ولَستُم تَشتَكُونَ، وكَم تُستَغْضَبونَ فَلا يَبْدُو لَكُم غَضَبُ ؟
باللهِ يا قَومَنا هُبُّوا لشأنِكُمْ فَكَمْ تُنادِيكُمُ الأَسفارُ والخُطَبُ
أَلستُم مَن سَطَوْا في الأَرضِ واقتَحَمُوا شَرْقاً وَغَرْباً وعَزُّوا أينَما ذَهَبوا ؟

**شعره** : لا يعد الشيخ ابراهيم اليازجي في الشعراء المتقدمين ، اما الذي حفظ قصائده فالعاطفة القومية العربية التي فيها وليس اسلوبها الذي يميل احياناً الى الضعف. اضف الى ذلك ان شعره بعيد عن الطبع وان قوافيه قلقة مُختَلَة :

دَعْ مَجالسَ الغِيدِ الاوانِسْ وَهَوى لَواحِظِها النواعِسْ.
أيُّ النَّعيمِ لِمَنْ يَبِيـ ... ـتُ عَلى بساطِ الذُّلِّ جالِسْ ؟

ولمنْ تَراهُ بائساً ابداً لِذَيلِ التُركِ بائِسْ (١)
أَوَلَسْتُم العُرْبُ الكرا مُ وَمَنْ هُم الشُمُّ المعاطِسْ ؟
فَاسْتَوقِدُوا لِقِتالِهم ناراً تُرَوِّعُ كُلَّ قابِس
وَدَعُوا مَقالَ ذَوِي الشِقا قِ من . . . . . . .
ما هم رجالُ اللهِ فِيـ ـكمْ بل هُمُ القَومُ الأَبالِسْ
يَمْشُون بَـينَ ظُهورِكُمْ تَحتَ الطَيالِسِ والأَطالِسْ
. . . . . . . . . . .
دَبَّتْ عقاربُهُمْ اليـ ـكم بالمفاسِد والدَسائِسْ
يُلقُونَ بينَكُمُ التَباغُ ضَ والعداوَةَ والدَسائِسْ

اما الكلمتان المحذوفتان من البيت السادس فهما بلا ريب « المشايخ والقساوس» كما يستدل من معني الابيات التالية ومن ملاحظة الاب لويس شيخو في كتابه تاريخ الآداب العربية في القرن العشرين( راجع الصفحة السابقة). وهنالك بعد البيت الثامن بيتان محذوفان لهما بلا شك علاقة بهذا المعني .

**نثره** : انما شُهر اليازجي بنثره فهو منشيء مقتدر، وهو يجري في نثره على اسلوبين:

١ — اسلوب انيق قصره على مقدمات موضوعاته وبحوثه . فهو عادة يبدأ الموضوع بمقدمة ( او ديباجة على الاصح ) يجعلها ميدان براعته اللغوية فيكثر فيها من الصناعة المعنوية والصناعة اللفظية على الاخص ، مع اهتمام بالغ في الموازنة والسجع . وهو هنا شديد العناية باختيار الالفاظ وانتقاء الجمل مع صفاء في التعبير. وانك تبصر اثر التنقيح والتهذيب ظاهراً على هذا الاسلوب خاصة ظهوراً بيناً . وربما لجأ ايضاً الى تضمين الامثال والاشعار او الاقتباس منها . قال في مقدمة الجزء الاول من السنة الاولى لمجلة « الضياء » :

« الحمد لله الذي جعل العلم ضياء للبصائر ، كما جعل النور ضياء للنواظر . وبعدُ فان خدمة العلم من الفروض التي لا يُعفى منها إلا من اتّسم بشعاره ، ولا يضطلع

(١) بائس (الاولى) : ذليل . بائس (الثانية) : من باس يبوس العامية بمعنى قبّل .

بها إلا من جعلها قبلة عزمه ومعقد ازاره ...

« ولا حاجة بنا الى وصف مكان العلم من الجامعة الانسانية ، وما يتوقف عليه من صلاح شؤونها في الحالتين المدنية والسياسية ، ولا سيما في هذا العصر الذي عم فيه انتشاره ، وزخر في كل وادٍ تياره ، فكان رائد فلاح الامم وسلم ارتقائها ، بل عنصر حياتها وسبب بقائها ...

« ولقد هبت ريحه ( ريح العلم ) على هذا القطر ( المصري ) بعد ما ركدت دهراً طويلا ، وثابت الهمم فيه لتجديد ما اندوس من آثار عزته الاولى ، واذن فيه داعي الفلاح فرن صدى صوته في كل ناد ، وخفّت اليه طلائع الاجابة من كل واد ، حتى اصبح مضماراً لسوابق الافكار وسوابح الاقلام ، ومعرضاً لودائع الالباب وبضائع الافهام ... »

ومن ابرز الشواهد على اسلوبه الانيق قوله في ديباجة بحث تكلم فيه على الزُهرة ، وهي احدى الكواكب التي تدور حول الشمس ( السنة الاولى ، ص ٢٢٥ ) :

« هي ملك جند الدجى بل قائد معسكر الانوار بل الالهة الجمال قد استوت على عرش من النُضار ، اذا برزت في ثوب بهائها فاكفهرت لها الشمس من الحسد بل غشيتها حمرة الخجل بعدما علتها صفرة الكمد فاقبل الهلال وقد انحنى بين يديها وسجد .

« واذا رأيتها بارزة في طليعة الكواكب وقد تجلت في فلكها حين لا يبدو طالع ولا غارب فاستلت من الهلال سيفاً استقبلت به نحر الظلماء ثم نادت في جيشها فاذا به طبق نواحي السماء فبرز الرامي * فاوتر قوسه وانتصب للنضال ووضع الجبار * يده على سيفه ونادى يا للنزال واشرع السماك * رمحه فخفق قلب العذراء *

« تلك الالهة الجمال التي عبدها الاوائل واقاموا لها المساجد والهياكل ورفعوا اليها الابصار والقلوب في أخريات الليل وقُبيل الغروب فكانت مناط الآمال ومصعد الابتهال ومستودع نجوى العاشق واسرار الابكار العواتق ... »

وبعد ان يتناول اليازجي الكلام على الناحية الطبيعية علمياً يعود فيختم البحث بابيات كثيرة من قصيدة له طويلة في الزهرة !

---

* اسماء افلاك

٢ — وله ايضاً اسلوب مُرسَل، وذلك انه اذا خلص عادة من الديباجة الى صلب البحث لم يتكلف فيه كما تكلف في ديباجته. ومع ذلك فان عنايته بالالفاظ والتراكيب تظل بادية مع شيء من التطويل والاستطراد تستغني عنهما طبيعة البحث عادة ، سوى ان الشيخ ابراهيم يخضع في كل مقال للتأنق والتنقيح والتأني التي تسود ديباجته . وهو من اجل ذلك بطيء في الكتابة . واما سبب انصراف اليازجي عن التكلف والصناعة إلا قليلا ، في مثل هذه البحوث والموضوعات فهو انه ينقل ( اي يترجم) عن الفرنسية ( خاصة ) مما لا يتسع معه المجال لهذا التأنق المعنوي واللفظي، كما اتسعت له « الديباجات » التي يعتمد فيها على مقدرته اللغوية وخياله السارح .

ويحسن هنا ان نورد شيئاً من صلب البحث في الزُهرة ، بعد ان مر بك شيء من ديباجة هذا البحث نفسه :

« ... والزُهرة ولا شك اول كوكب عُرف من السيارة ( الكواكب السيارة ) لسرعة حركتها في فلكها بحيث انها لا تثبت اسبوعين في موضع واحد من السماء . وهي تكون تارة نجم مساء وتارة نجم صباح تبعاً لموضعها من الشمس، لانها اذا كانت الى شرقي الشمس ظهرت بعد مغيبها في الافق الغربي فكانت نجم مساء . وهي تظهر اولا لمحة ثم ترتفع يوماً بعد يوم حتى يبلغ معظم ارتفاعها ٤٨ درجة وحينئذ تلبث فوق الافق ما يزيد على اربع ساعات. وبعدئذ تعود فتنزل كما ارتفعت حتى تمر امام الشمس فتبرز من غربيها وتظهر قبلها في الشرق كذلك. ثم تعود فتبرز من وراء الشمس في الافق الغربي وهلمجراً » .

ويتبع اسلوبه المرسل في موضوعاته وبحوثه اسلوبه في مقالاته المعروفة بلغة الجرائد خاصة ، وذلك ان انتقاداته على بعض الكتاب والادباء والعلماء اقتضت جملا قصيرة، فلم تتسع للتأنق ولا للتكلف ولا لتلك العناية التي تعودناها في سائر كتاباته . من ذلك قوله :

« يقولون : رجل تعيس ، وقوم تعساء ، وهو من اهل التعاسة ، وكل ذلك غير المنقول عن العرب. والمسموع عنهم رجل تاعس وتعِس وهو من اهل التعْس والتعس.

ويقولون ذهب الرجلان سوية ، اي ذهبا معاً . وانما السوية بمعنى السواء، يقال قسموا المال بينهم بالسوية .

ويقولون احتار في الامر من الحيرة. ولم يسمع افتعل من هذا وانما يقال حار يحار فهو حائر وحيران ، وحيّرته فتحيّر » .

فانت ترى من هذه الامثلة انها بعيدة عن العناية قليلة الوضوح ، ولكننا لا نحكم على اسلوب الشيخ ابراهيم اليازجي بهذه الجمل ، بل بمقالاته المطولات . ولقد اصاب الشيخ ابراهيم في لفت نظر بعض المتأدبين الى تقويم اقلامهم وألسنتهم ولكنه بالغ احياناً في النقد ووهم في مواضع كثيرة . فرد عليه الشيخ عبد الرحمن سلام بكتاب اسمه « دفع الاوهام بقلم ابن سلام » ( ١٣١٧ هـ ) وخطّأه في اربعين موضعاً. وقد دل هذا الرد على ان اليازجي كان حريصاً على صفاء اسلوب الكتاب ، وعلى ان الشيخ عبد الرحمن سلام ابرع في فهم عبقرية اللغة العربية .

٣ - والشيخ ابراهيم اليازجي مترسل ايضاً له رسائل يجري فيها على منهج كتاب القرن الرابع الهجري : نثر موازن مسجّع منمّق ، لفظه اكثر من معناه . ورغم ما تكلف فيه من ديباجة المتقدمين فانه تخلف فيه عن براعتهم. على ان ترسله صحيح المعاني فصيح الالفاظ مليح الاشارة . قال يعزي بعض اصدقائه :

« من علم ان القضاء واقع ، وان الاعمار رهائن المصارع - فلم يصحب دهره على غرة ، ولم يفتر من الاقدار بفترة - لم تكبر عليه الرزيئة اذا اغتالت ، ولم يطمئن الى السلامة وان طالت . فان للدهر رقدةً وهبّة ، وان لليالي كمنة ووثبة. ومثلك من ادرك مبادىء الامور ومصايرها ، وعرف موارد الحياة ومصادرها . وانما الموت طور من اطوار الوجود ، وآخر اعمال الحياة في الموجود ... وحسبي من التعزية علمي بما عندك من موارد العلم المباح ... وما اخلقني بان اقول : ان رزءك هذا قد زادني شجناً على اشجاني ، ونكأ ما تماثل من قرحة احزاني ...» .

**موضوعاته واغراضه** : ان اشتغال اليازجي في الصحافة حمله على ان يكتب في جميع الموضوعات التي كانت مألوفة في عصره : في السياسة والاجتماع وفي العلم والتاريخ وفي الادب واللغة وفي النقد والتقريظ . وكثيراً ما تعرض بانتقاده للحكومة والدولة ورجال الدين بمقالات وقصائد ينشرها غُفلا من كل توقيع او موقعة باسم مستعار .

## ٢ ـ ولي الدين يكن

١٢٩٠ - ١٣٣٩ هـ ١٨٧٣ - ١٩٢١

### موجز ترجمته

ولد في الآستانة ( استانبول ) من والد تركي وام شركسية ، ولما كان له من العمر ثلاث سنوات جاء به ابوه حسن سري باشا الى القاهرة ، ثم توفي الوالد ولما يجاوز ولي الدين ست سنوات . حينئذ كفله عمه حيدر باشا يكن وزير المالية بمصر وادخله « مدرسة الانجال »،وهي مدرسة بناها الخديوي توفيق لتعليم اولاد الامراء والاعيان . وقد اتقن ولي الدين العربية لغة بيئته الجديدة ، والتركية لغة أسرته . وكذلك أتقن فيما بعد الفرنسية وألم بالانكليزية واليونانية .

وكانت الحاجة الى من يعرف مثل هذه اللغات يومذاك شديدة فعينه الخديوي عام ١٨٩٣م في الديوان الاجنبي . الا ان ميل ولي الدين كان الى الصحافة اشد فكتب في بعض الصحف ثم انقطع عام ١٨٩٦ م عن الوظيفة لينشىء جريدة المقياس ، ثم انشأ جريدة الاستقامة . ولما اضطر الى وقف جريدته اخذ يكتب في غيرها .

ومع ان ولي الدين نال عطف السلطان عبدالحميد في اول الامر . فانه عاد فتعرض لغضبه من جراء ما كتب في الجرائد وما نظم من الشعر في انتقاد السلطان وانتقاد السياسة التركية بوجه عام ولاتصاله بعمال الدول الاجنبية . من اجل ذلك نفي الى سيواس عام ١٣١٩ هـ ( ١٩٠٢ ) نفياً سياسياً،فقد عين هناك موظفاً براتب طيب ولكنه منع من مبارحة المدينة . ولم يكن ابعاده الى سيواس شراً عليه بل كان خيراً له فلقد وفر وقته على الانصراف الى الانتاج الادبي . ولما أعلن الدستور العثماني ( ١٩٠٨ ) عاد ولي الدين الى مصر واخذ يكتب في الصحف والمجلات او ينشر ما كان قد انتجه في ايام منفاه . وعاد من جديد الى دوائر الحكومة ، الا انه أصيب بداء الصدر فذهب مستشفياً الى حلوان وهنالك توفي ١٣٣٩ هـ ( ٦ اذار ١٩٢١ ) .

**عناصر شخصيته** اول العناصر التي تكاد تطالعك في كل ما كتب ولي الدين تسامحه الديني والقومي والسياسي او تهاونه على الاصح . فقد ولد ولي الدين مسلماً ونشأ نشأة مسلمة ولكنه كان كثير التعريض بالتقاليد الاسلامية . وكان تهاونه القومي اشد بروزاً،فلقد كان يعتقد ان الشرق ـ ووادي النيل خاصة ـ ليس اهلا للاستقلال ( الصحائف السود ص ٤٥-٥١ ) . وكذلك ذم ولي الدين زعماء مصر

الوطنيين . واما تهاونه السياسي فكان ظاهراً في آرائه التي كانت تخالف آراء قومه الذين لا يقلون عنه وطنية كشوقي وحافظ والمنفلوطي .

وكان ولي الدين اشتراكي النزعة متطرفاً .

وكذلك كان ولي الدين ناقماً على كل ما حوله في السياسة والقومية والاجتماع ، وكانت نقمته هذه موجهة الى اشخاص بعينهم كالسلطان عبد الحميد . انك لا تستطيع ان ترى نقمة ولي الدين الا ملونة بحقد شخصي على الدولة والاشخاص الحاكمين في كل مكان في الشرق فقط . على انه غفل عن كل شبه لذلك في الغرب .

ولا ريب ان الباعث على قلقه ونقمته كان عاملا نفسانياً في الاكثر ، فقد كان ولي الدين مريضاً بالربو او بالسل على الاصح ، ولقد افتقر وشرد فزاد ذلك في اسباب نقمته . ولقي ولي الدين في حياته اهمالا اجتماعياً من قومه يعود في ذلك الحين الى انه تزوج امرأة يونانية وسمى ابنه جان وابنته فكتوريا . اضف هذا كله الى « فلسفته السياسية » تدرك سبب خمول ولي الدين بين ابناء قومه .

وكان موقف ولي الدين من السياسة والاجتماع موقف الناقد الهدّام ناقماً على كل ما هو شرقي ، ولكنه لم يقترح وجوهاً للاصلاح ولا كانت له نظرة ايجابية في ذلك .

**جهوده الادبية** كان انتاج ولي الدين الادبي ، بالاضافة الي فقره في حياته ، وقضاء السنوات الطوال في النفي والتشريد او على فراش المرض ، عظيما جداً : انشأ من الجرائد « المقياس » ( ١٨٩٥ م ) و « الاستقامة » ( ١٨٩٧م ) و « الاقدام » ( ١٩١٢ ) ، كما انه نشر مقالات كثيرة في جرائد مختلفة . ويظهر ان شيئاً كثيراً من انتاجه الادبي قد ضاع ، ولكن بقي منه .

١ — ديوان شعر فيه نحو الفين وخمسمائة بيت ، طبع عام ١٩٢٤ ، اي بعد وفاته .

٢ — خواطر نيازي ( منقول : مترجم عن التركية ) وفيه وصف لجمعية الاتحاد والترقي .

٣ — الصحائف السود وهو مجموع مقالات في ١١١ صفحة بالقطع الصغير ( طبع ١٩١٠ ) . وهو ادل كتبه عليه ففيه شعر ونثر ونخبة من مقالاته السياسية والاجتماعية .

وفي هذا الكتاب ابرز ميزات ولي الدين الفنية. وهاك عدداً مما تضمنه هذا الكتاب من المقالات :

العمال في البلاد العثمانية . الغلو في المدح . خليج البوسفور . احدى ليالي الشتاء. الاسراف الاسراف . الاسترقاق في ايام الحرية. حرية الفكر . الشقاق .

٤ — المعلوم والمجهول ، جزآن — وهو مجموع مقالات تتضمن ترجمة الشاعر والاحوال التي رافقت حياته منذ دخوله في خدمة الدولة الى ايام نفيه في سيواس ، مع تصوير حالة الحكومة العثمانية الداخلية والخارجية. ثم فيه ملاحظات تاريخية وانتقادية تتعلق بمصر خاصة وبالحرية والظلم وبالاستقلال والنفوذ الاجنبي مع شيء من تاريخ مدينة سيواس ( طبع ١٣٢٧—١٣٢٩ ﻫ ١٩٠٩—١٩١١ م ) .

٥ — التجاريب ، وهي مجموعة مقالات اجتماعية ( طبع ١٩١٣ ) والتجاريب يشبه الصحائف السود من وجوه كثيرة ، تعرف ذلك من بعض مقالاته : الاحرار واعداؤهم . كيف يموت الادباء في الشرق — التكبر وحداثة النعمة — عبد الحميد مبكياً بعد سقوطه .

٦ — ذكران ورائف ، رواية ( طبعت في مصر سنة ؟ ) .

**خصائصه الفنية** ولي الدين لا يجري على اساليب العرب ، بل كان له اسلوب فيه كثير من التطرف الادبي فهو يحاول ابراز معانيه في لغة طليقة من كثير من القيود اللغوية والنحوية، قال مثلا : «وديان» ( الصحائف السود ص٥٤) والصواب: اودية — وقال : « وصوّحت الازهار » ، يريد : تفتحت ( الصحائف السود ٥٥ ) مع ان صوّح معناها يبس — وكذلك قال : « واما فؤادها فموصد بابه في وجه محبتها »، والصواب:«... فبابه موصد ». ومثل هذا كثير في شعر ولي الدين ونثره.

١ — شعره خاصة — في بعض شعر ولي الدين عاطفة وفيه معان كثيرة،ولكن خياله قليل محدود الافق — بخلاف نثره— واكثر قصائد ولي الدين تقليد في بحورها ومعانيها وقوافيها لشوقي ، قال شوقي في خلع السلطان عبد الحميد الثاني :

سَلْ يَلْدِزاً ذاتَ القصورِ : هَل جاءَها نَبأُ البدورِ ؟
الناعمـاتِ الطَّيِّبا تِ العرفِ أَمْثالَ الزُّهورِ .
أَسَدٌ هَصُورٌ أَنْشَبَ الاظـ فَارَ في أَسَدٍ هَصُورِ .

فعارضه ولي الدين ولم ينس ان يخطىء في جمع زهر على زهور بدلا من ان يجمعها على ازهار ، قال :

هاجَتْكَ خالِيَةُ القصورِ وَشَجَتْكَ آفلةُ البدورِ .
أَسَدٌ هَصُورٌ في الوغى يَمْشِي إِلى أَسَدٍ هَصُورِ .
كانَتْ زُهور شَبِيْبَةٍ لَهفي على تِلْكَ الزُّهورِ .

على ان هذه وحده يحتاج الى درس خاص .

وقال ولي الدين يرثي ادورد السابع ملك انكلترة ( ١٩١٠ م ) :

وَداعاً ، ايها المَلِكُ الجليلُ ، دنا سَفَرٌ وَمُهِّدَتِ السبيلُ .
أَلا فَلْتَبْكِهِ مُثُلُ الأَعالي ، وإِنَّ كَثِيرَ مَدْمعِها قَلِيلُ .
سَمِعْتُ مدافِعَ الأَحزانِ تَدْوي فقلتُ لِصُحْبَتي : نَبأٌ جَلِيلُ .
بَكَى التامِزُ صَاحِبَهُ المُفَدَّى فَجَاوَبَهُ هنا « هَرَمٌ » ونيلُ (١).
لَقَدْ هالَ الورى خَطْبٌ دَهاهم ، ولا عَجَبٌ فَذا خَطْبٌ يَهُولُ !
قَضَى ادوردُ عنْ مَجْدٍ أَثِيلِ ويَبْقَى بعْدَهُ المَجْدُ الأَثِيلُ .
فَإِنْ ثَكِلَتْهُ أُمَّتُهُ لِحِينٍ فإِنَّ لِمِثْلِهِ الدنيا ثَكُولُ .
وانْ يَكُ سَاءَهُ عمرٌ قَصِيرٌ فإِنّا سَاءَنا حُزْنٌ طَوِيلُ .
فَهَلْ في المَالِكِينَ لَهُ مَثِيلٌ ؟ أَمَا واللهِ لَيْسَ لَهُ مَثِيلُ !

(١) التاميز هو التايمس النهر الذي تقوم عليه لندن ، والهرم والنيل معروفان.

أَبا الأَحرارِ ، لا يَئِساكَ حرٌّ شَبابُهمو يُجلُّكَ والكُهولُ .
تُناديكَ الشُعوبُ بكل أَرضٍ فَليْتكَ سامِعٌ ماذا تَقولُ .
تُناجي مِنكَ حَاميَها المُرجّى وَصولَتَها إذا قامَت تَصولُ .
سَلامُ اللهِ يا ادوردُ منا عليكَ ، وَبعدُ فالصَبرُ الجَميلُ !

٢ – نثره خاصة – ولي الدين كاتب ناثر : كاتب لانه يأتي بالمعاني الكثيرة في كتاباته ، وناثر لانه يتكلف ايراد معانيه في صور جديدة وتعابير مبتكرة فيجيد ، ولكنه قد يبعد احياناً عن الذوق وعن الاصابة. وعلى كل فخصائص اسلوبه في النثر:

(أ) قصر جملة وقلة الوصل بينها :

« ولقد رأيت قوماً راعهم ما قرأوه في فصولي . اولئك فريقان : فريق من المسيحيين وفريق من المسلمين ، اكبر كلاهما اقوالي ولم تنشرح لها صدورهم. فسكت عنها بعضهم ولامني فيها بعضهم وانا في شاغل عن الصامت واللائم . هذا باب اجتهاد فتحه لنفسي » .

(ب) تضمين آيات من القرآن الكريم او ابيات واشطر وجمل من الادب القديم :

ويكثر ولي الدين من اقتباس الآيات في نثره ومن ترصيع نثره بالشعر القديم ، او من تضمين الامثال والحكم والاقوال . على ان اكثر هذه تأتي نافرة قلقة مضطربة لضعف اسلوب ولي الدين ومتانة اسلوبها هي :

١ – « اما بنو فروق فمغلوبون على امرهم . قُضي عليهم الا يتحاصّوا من الحياة الدنيا الا الهمومَ التي يعيشون فيها ( لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً ولا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيما . عاليهم ثياب ) نار كلما شوت منهم جلوداً بُدلوا جلوداً غيرها . تتعاقب آلاناء وهم سكارى حيارى ، كأن عهدهم بالحشر قريب ، ينظرون من خلل اليأس الى بارق الامل » (١)

(١) فروق استانبول . الزمهزير : القمر – اقتبس ولي الدين هنا من اربع آيات اما باللفظ او بالمعنى فقط ، على ان المعرفة بكتاب الله تدل على انه اخطأ موضع الاقتباس وابتعد عن المعاني التي ارادها الامع التكلف .

٢ — « وما انا من تسمو به همته الى ادعاء ذلك ، ولكنّ للعلم في عصرنا نهضة شخصت له الابصار ( وعنت الوجوه ) . وكانا على آثار رجاله لسائرون . فنعم ( مفتاح باب المعقل الاشب ) » (٢)

٣ — « لك الله انا ( تستجير من الرمضاء بالنـــار ) . بحت الاصوات وتقطعت الانفاس واضطربت الجوانح وعيت الالسن وشلت الانامل .

( وقد اسمعت لو ناديت حيـا ولكن لا حيـاة لمن تنادي ! ) »

(ج) تشابيهه الجديدة التي رق فيها او سمج ، وتهكمه :

يتطلب ولي الدين التشابيه والاستعارات فيساعده عليها سعة خياله ( في النثر ) وحسن ذوقه وبعض الترف الذي يذكره من حياته الاولى . وهو يتهكم احياناً في سياقة في هذه التشابيه تكلماً ظاهراً ، فاقرأ هذه التشابيه وميز بينها لنفسك :

« رب متكأ كان يغيب فيه مرفق الملك الاسير ... — ناظرتان كمصباحي مسجد في اخريات الليل — رب كرسي يضطرب فوقه حديث النعمة كأنه على قرن ثور — غانية كتمثال فينوس — يتكلم الشر على وجهـه وهو صامت — وامامهم فوارة يرى ماؤها كرمح من البلور — وسمعت في صدرهـــا ضحكاً كقعقعة الطاحون — فرأيت في جانبي شخصاً دق حتى صار كالعمود الفقري له رأس كرأس السنة ولحية كالتقويم وانف كالمسدس وعينان كأنهما برقوقتان وعلى رأسه عمامة كالبصلة الكبيرة — كالخضاب على رأس الاصلع — فسيقوا واجمين كأن قد صب على رؤوسهم طست فيه عشرون اقة من البترول — واذا وجوه صفر كل وجـه منها كامساكية رمضان .

( ٦ ) عذوبة لغته وسهولتها :

ولولي الدين لغة سهلة عذبة تغري القارىء بموالاة القراءة احياناً — ثم يعترض فيها لحن او تهكم سمج او تشبيه بارد فينفر عنهـا الذوق . واليك الآن نموذجين ، احدهما سياسي والآخر اجتماعي ، وفيهما كليهما سهولة وعذوبة :

---

(٢) وعنت الوجوه للحي القيوم ... من القرآن الكريم . « والله مفتـاح باب المعقل الاشب » شطر لابي تمام في قصيدته فتح عمورية .

١ - « الارمني الذي قتل ابوه في مذابح الاناضول، والتركي الذي ألقى ذووه في لجج البوسفور ، والعامل في اعماق الموانىء محروما من نور الشمس ولطف الهواء ، والفقير الذي يحس بالفاقة ولا يتجاسر على شكايتها ، كل يندب فرر كما كان فرر يندبهم . مساكين انصار الاحرار ، يريدون ان يخلصوا العباد من الظلم فيقعون هم تحت الظلم » .

٢ - « لست ادري ما يبتغي الرجل من فتاة يبتاعها بدراهمه ليشركها في حياته ويقاسمها افراحه واحزانه كما يقاسمها نعمه وامواله . اما فؤادها فموصد بابه في وجه محبته واما نفسها فحائمة على هوى غير وده ، لا يقدر ان يستخلصها لهواه ولا يدعها تختار هوى لها » .

**اغراضه** اذا كان ولي الدين كاتباً ناثراً فمن المنتظر ان ترى في نثره ايضا ذكر الظلم ،ذلك الذي لا تكاد مقالة من مقالاته تخلو منه : الظلم السياسي وعبد الحميد ، الظلم الاجتماعي والرعية والعمال ، الظلم الجنسي والزواج ، الظلم الادبي وموت الادباء مهملين في الشرق. وقد يحمل الغرور ولي الدين على ان يرى ان قيمته اعظم من شهرته ، فخذ هذا النموذج الانتقادي الاجتماعي من « التجاريب » في مقالة عنوانها التكبر وحداثة النعمة :

« لا بد من التنقل الى الاجتماعيات فقد تضجر النفوسَ اساليبُ السياسة . ثم نحن الى الاجتماعيات اشد منا حاجة الى السياسات ... اريد ان اصف التكبر وحداثة النعمة . وليس عندي وصف يرضيني . لأن الذين وصفوا التكبر وصفوه غاضبين . وانا اريد ان اصفه هازئاً لا غاضباً ...

التكبر ينشأ في نفس المرء من اشياء كثيرة اشدها الحمق ، ثم الاغترار بالانتقال من الضعة الى الرفعة ، ثم محاولة العزة عند الناس .

« عرفت رجلا تكبر بعد عناية اصابته فرأيته في احد مجالسه وما زال ينحرف في قعوده ويتلوى في توجهه حتى انشق بنطلونه وافتر عن بياض قميصه . فكان عابساً من فوق باسماً من تحت . وكاد اهل المجلس ان يموتوا من شدة الضحك .

« ولقد رأيت اناساً من ذوي الالقاب المستحدثة يتكبرون فهالني الامر فرحت

اتحرى فيهم شيئاً من النبل او الفضل اتخـذه عذراً لهم . فاذا عقول بخاتم ربها ، لم تمسها فائدة . واذا ألسن يتساقط منها الحديث كجلمود صخر حطه السيل من عل. واذا وجوه صفر كل وجه منها كامساكية رمضان ...

ان لقب الباشا في هذا البلد اشد اسكاراً من زجاجة الوسكي . يناله القوي الذي ربي بين الانعام ... ثم ينزل مصر او يطلع الثغر (١)فيرفل في حلة تكاد تنحل عن اعطافه يخال رائيه ان ثيابه تمشي وحدها فيطغى ثم يطغى ويأتيه طغيانه، على شكله المضحك وكلامه السمج ، كالخضاب على رأس الاصلع ...

« يا سيدي الباشا ... اني ليزهدني في كثير من امثالك ما بيننا من اختلاف الحال: انا اكتب وهم لا يفهمون وانا اخلد وهم يفنوق . وانا قديم عهد بالنعمة وهم حديثو عهد بها . وانا يكرر ذكري كل ناطق بالضاد وليس فيهم من جاوز ذكره آخر الزقاق الذي يسكنه . اتحدث بنعمة الله تأدية لشكره . فأين انت مني حتى تتطاول علي ؟ »

---

(١) مصر : القاهرة . الثغر : الاسكندرية .

# ٢ ـ مصطفى لطفي المنفلوطي

١٢٩٢ — ١٣٤٣ هـ ١٨٧٥ — ١٩٢٤

## موجز ترجمته

ولد في منفلوط بصعيد مصر . وقد تربى منذ نشأته الاولى تربية دينية فحفظ القرآن صغيراً ثم انتقل الى القاهرة ودخل الجامع الازهر وتلقى فيه علوم الدين واللغة عشر سنين كاملة وذلك قبل ان يدخل على الازهر الاصلاح العلمي الحديث . ومع ذلك فقد مال المنفلوطي الى الادب وقرأ من كتبه ما استطاعت يده ان تصل اليه . وادرك المنفلوطي الشيخ محمد عبده (ت ١٩٠٥) ولازمه عشر سنين وسمع منه كثيراً من فلسفة الدين والاخلاق ومن اوجه الاصلاح في العالم الاسلامي . ثم انه جعل يكتب في جريدة المؤيد مقالات اجتماعية انتقاديةلاقت رواجاً ، فبعد ان كان قد عاد من القاهرة الى منفلوط رجع الى القاهرة ثانية ليكون قريباً من الحركة الصحافية ومن جمهور القراء . وبما ان تلمذته على الشيخ محمد عبده وحياته جعلتاه « وفدياً » في آرائه وكتاباته — كما هم اهل الصعيد عادة — ، فقد نال خطوة لدى سعد زغلول فجعله احد رؤساء الكتاب في مجلس الشيوخ المصري . وتوفي المنفلوطي قبل ان يبلغ الخمسين من عمره .

**عناصر شخصيته** كان المنفلوطي شديد التمسك بالاسلام يذهب فيه الى اللباب دون ما اضافه اليه بعض المتأخرين من الخرافات ، ولقد اخذ هذا بلا ريب عن الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . وكان شرقياً في ذات نفسه روحياً في حياته الداخلية يكره ما حملته المدنية الغربية الى الشرق من المفاسد . على انه كان كثير التشاؤم في كل شيء فلا ترى في كتبه ناحية باسمة من نواحي الحياة ابداً ، حتى انه لم يستهوه، مما نقل له بعض الادباء من ادب الغرب ليسبكه باسلوبه وليصقله ببيانه ، الا ما كان كاسفاً حزيناً . والمنفلوطي لم يكن فقيراً وخصوصاً في اواخر ايامه ، ومع ذلك فقد اكثر من الكتابة في الفقر وفي التألم لحال الفقراء وبالغ في ذلك . ولعله لم يكن تاعساً ( اذا استثنينا اصابة امرأته بالرمد ) ومع ذلك فانه اجاد تصوير التعس بما لا مزيد عليه من القدرة .

وكان المنفلوطي « منتقداً ناقماً » لا مصلحاً : لقد نقّب عن العيوب واجاد تصويرها وبالغ في ابرازها ولكنه لم يحاول ان يضع اسس اصلاح اجتماعي ، ولا

ريب في ان ذلك راجع الى سبب واحد ، هو انه شديد التدين وانه يرى في القرآن الكريم العلاج الذي لا يجوز ان يوصف معه علاج آخر لرد البشر الى الحياة المثلى .

وكذلك كان من الطبيعي في كل ذلك ان يندفع المنفلوطي مع عاطفته كلما تأثر بحادثة معينة ولو نقض في مقال تالٍ ما اثبته في مقال سابق. فبينما تجده يدافع عن المرأة اذا سقطت (١) تراه يصورها بصورة الغادر الذي استقر الغدر في نفسه (٢) .

**كتبه** تقوم شهرة المنفلوطي في الدرجة الاولى على المقالات التي نشرها في الصحف ثم جمعها في ثلاثة اجزاء سماها «النظرات» ، وعلى روايات وقصص من الادب الافرنسي نقلها له نفر الى العربية باسلوب عادي فتناولها هو بالتانق والتصرف كثيراً او قليلا . هذه الروايات هي : (أ) الشاعر اوسيرانو ده برجراك تأليف ادمون روستان ، و (ب) مجدولين او تحت ظلال الزيزفون تأليف الفونس كار ، و (جـ) الفضيلة او بول وفرجيني تاليف برناردان ده سان بيير ،و (د) في سبيل التاج تأليف فرنسوا كوبه .

والذي يلاحظ ان المنفلوطي اختار للروايات الثلاث الاولى اسماء غير التي اختارها اصحابها ، وانه جعل الاولى والرابعة قصصيتين مع انهما تمثيليتان .

وكذلك للمنفلوطي مجموع اسمه « العبرات » فيه قصص قصيرة بعضها منقول ( على الشكل الذي مر بك لنقل الروايات ) وبعضها موضوع عالج فيه المنفلوطي بعض المشاكل الاجتماعية بشكل قصصي ولا اقول باسلوب قصصي لان الذي يستهويك هنا ايضاً انما هو « عذوبة اللغة التي تمس عاطفتك » لا « روعة القصة التي تنفذ الى قلبك».

وللمنفلوطي شعر بعضه جيد ، ولكنه لم يجمع في ديوان ، وله ايضاً « مختارات المنفلوطي » وهي مقالات لكبار ادباء العربية من الاقدمين والمحدثين تبحث في اللغة والبيان والشعر . وبعض المقالات في هذه « المختارات » للمنفلوطي نفسه .

**خصائصه الفنية** المنفلوطي منشىء لا اديب ، يستهويك اسلوبه لا افكاره ، هو كاتب مترسل ، لا باحث مبتكر . غير ان له فضلا عظيما على ناشئة العصر الحديث ، فانا اذا قارنا اساليب الكتابة التي سبقت الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ —

---

١) النظرات ٢ : ٦٧ ( الطبعة الخامسة ١٩٢٥ ). (٢) مثله : ٣٤٣ — ٣٥٠ .

١٩١٨ ) لم نكد نشك في انه هو الذي طبع اساليبنا بالسلاسة والعذوبة . وبما ان والمنفلوطي لم يعرف لغة اجنبية قط ، فان اسلوبه كان من اجل ذلك «عربياً صريحاً» صافياً خالياً من العجمة ، ولعله الاسلوب الحديث الوحيد الذي يجوز ان يسمى بالسهل الممتنع . واسلوب المنفلوطي وسط بين اسلوب ابن المقفع واسلوب ابن خلدون الا اذا اردت ان تضيف اليه شيئاً من عبد الحميد الكاتب او اسلوب الجاحظ على الاصح ، ويمتاز اسلوبه بأربع خصائص كبرى :

١ — قرب الخيال — فانه يتناول تشابيهه واوصافه من متناول يده ولا يتكلف في تطلبها ولا ايرادها : « يمشي الرجل وراء قلبه فيهديه وتمشي المرأة وراء عقلها فيضلها ، فما وقفت معه وقفة الا سقطت بين يديه عجزاً وضعفاً ، لانه يعرف السبيل الى قلبها ولا تعرف السبيل الى عقله » .

« وان ميادين الحروب لا تزال ملوثة بالدماء ... وان سحب البغضاء القاتمة لا تزال مخيمة على المجتمع الانساني من ادناه الى اقصاه ... »

٢ — تخير الكلمات — والمنفلوطي مقتدر في فهم عبقرية اللغة عارف بمفرداتها وتراكيبها ، عارف ببلاغتها وبيانها ، اديب ، فهو من اجل ذلك كله يتخير كلماته تخيراً كبيراً لانه في الحقيقة لا يهتم بالآراء والافكار بقدر ما يهتم بحسن التعبير عنها : « ان السماء تبكي بدموع الغمام ، ويخفق قلبها بلمعان البرق ، وتصرخ بهدير الرعد ، وان الارض تئن بحفيف الريح وتضج بامواج البحر . وما بكاء السماء ولا انين الارض الا رحمة بالانسان ... و ... لو تراحم الناس لما كان بينهم جائع ولا عار ولا مغبون ولا مهضوم ، ولأقفرت الجفون من المدامع ، ولاطمأنت الجنوب الى المضاجع ، ولمحت الرحمة الشقاء من المجتمع كما يمحو لسان الصبح مداد الظلام » .

٣ — سهولة التركيب — ان مقدرة المنفلوطي اللغوية وبراعته في البيان والبلاغة مكنتاه من ان يعبر عن جميع آرائه وافكاره ( وهي محدودة بلا ريب ) بسهولة بالغة وتركيب متين : « ذهب الناس في معنى البيان مذاهب متشعبة واختلفوا في شأنه اختلافاً كثيراً . ولا ادري علامَ يختلفون واين يذهبون ؟ وهذا لفظ دالّ على معناه دَلالة واضحة لا تشتبك وجوهها ولا تتشعب مسالكها ... جهل البيان

قوم فظنوا انه الاستكثار من غريب اللغة ونادر الاساليب فاغصّوا بها صدور كتابتهم وحشَوْها في حلوقها ... وجهله آخرون فظنوا انه الهذر في القول والتبسط في الحديث ... ويخيل الي ان الكتاب في هذا العصر يكتبون لأنفسهم اكثر مما يكتبون للناس ... فاني لا اكاد ارى بينهم من يُحكم وضع فمه على اذن السامع ... و ... ما اصيب البيان العربي بما اصيب به الا من ناحية الجهل باساليب اللغة . ولا ادري كيف يستطيع الكاتب ان يكون كاتباً عربياً قبل ان يطلع على اساليب العرب في نعوتهم وتصوراتهم وخيالاتهم ومحاوراتهم ومساجلاتهم ، وقبل ان يعرف كيف كانوا يعاتبون ويؤنبون ويعظون وينصحون ويتغزلون وينسبون ... » .

٤ — قوة العاطفة — كانت فطرة المنفلوطي نقية وكان هو بسيطاً في حياته وتفكيره لم يحذق اساليب المجتمع الفاسد ، ولذلك ظلت عاطفته صادقة نبيلة . من اجل ذلك كانت سريعة الى التأثر عميقة في الانفعال بكل شيء يمس العاطفة الانسانية ، وكثيراً ما كانت تنفعل عاطفته انفعالا متناقضاً في مناسبات شتى تبعاً للحوادث التي تقع تحت حواسه وللاحوال التي كانت تلابس نفسانيته . لقد رأيناه مرة يدافع عن المرأة اذا سقطت ثم يشدد النكير عليها متهما اياها بالغدر والخيانة وبأنها اصل الشر . على ان هذا الاتجاه سرعان ما اثر في نفسيته وجعل عاطفته قريبة الانفعال دائماً في النواحي الحزينة من الحياة . ومن اجل ذلك كان يجيد تصوير البؤس والحزن والخيبة والمرض والموت وما اليها مع انه هو نفسه لم يكن فقيراً وان كان حزيناً في نفسه ، فقد مات له اربعة بنين واصيبت زوجته برمد ذهب ببصرها . فمن اثر ذلك كله في اسلوبه :

« اين قطرات الدموع التي يريح الباكون بها انفسهم او قطرات المداد التي يرصع الكتّاب بها صحائفهم من قطرات المداد التي اراقها مصطفى كامل في سبيل وطنه وامته . ويا ايها الناس جميعاً لا تحفلوا بعد اليوم بالانساب والاحساب ولا تفرقوا بين تربية الاكواخ وتربية القصور . لا تعتقدوا ان الفضيلة وقف على الاغنياء وحبائس على العظماء . فلقد علمتم ما اضمر الدهر في طياته من رذائل الشرفاء وفضائل اللقطاء » .

ولا ريب في ان عاطفته تكون اكثر انفعالا وان كتابته تكون اعمق اثراً في النفوس اذا كان الخطب متعلقاً به هو نفسه كما نرى في رثاء ابنه ( الدفين الصغير ، النظرات ١ : ٧٨ ) :

« الآن نفضت يدي من تراب قبرك يا بني وعدت الى منزلي كما يعود القائد المنكسر من ساحة الحرب لا املك الا دمعةلا استطيع ارسالها ، وزفرة لا استطيع تصعيدها .

« ذلك لان الله الذي كتب لي في لوح مقاديره هذا الشقاء في امرك فرزقني بك قبل ان اسأله اياك ثم استلبنيك قبل ان استعفيه منك ، قد اراد ان يتمم قضاءه فيّ وان يجرّعني الكأس حتى ثمالتها فحرمني دمعة ارسلها او زفرة اصعّدها ، حتى لا اجد في هذه ولا تلك ما اتفرج به مما انا فيه . فله الحمد راضياً وغاضباً ، وله الثناء منعما وسالبا ، وله مني ما يشاء من الرضا بقضائه والصبر على بلائه » .

ومثل ذلك موقفه من مصائب الانسان وعاهات المجتمع :

« ما اظلم الاقوياءَ من بني الانسان وما اقسى قلوبهم ! ينام احدهم ملء جفنه على فراشه الوثير ولا يقلقه في مضجعه انه يسمع انين جاره وهو يُرعد برداً وقُراً . ويجلس امام مائدة حافلة بصنوف الطعام قديده وشوائه ، وحلوه وحامضه ، ولا ينغّص عليه شهواته علمه ان بين اقربائه وذوي رحمه من تتواثب احشاؤه شوقا الى فتات تلك المائدة ويسيل لعابه تلهفا على فضلاتها » .

**التصرف في النقل** : للمنفلوطي مقالات وقصص قصيرة وروايات نقلها من الفرنسية خاصة الى العربية . كان المنفلوطي على ما مر بك لا يعرف الا اللغة العربية ، ولكن يظهر ان بعض الافراد كان ينقل له بعض المقالات او القصص الغربية ( عن الفرنسية ) فيعود هو فيسبكها باسلوبه ، الا انه يتصرف تصرفاً كبيراً في معانيها وآرائها وفلسفتها احيانا كثيرة . واذا تركنا المعاني جانباً فان اسلوب المنفلوطي فيما ينقل كاسلوبه فيما يكتب . ومن اشهر المقالات المنقولة قطعة لفيكتور هيغو اسمها « الدعاء La prière » اتى بخلاصتها في « نظراته » ( ٢ : ٣١٩ ) :

« قومي يا بُنية الى الصلاة فقد نزل ستار الليل ودب الشفق الاحمر في حاشية

الافق ، واطلت عيون الكواكب من فروج السحب واجرى البدر ليقته الفضية البيضاء على صفحة النهر ، ومسحت ايدي النسائم المبتـلة بندى الليل عن اوراق الاشجار غُبار النهار ..

« قومي يا بنية الى الصلاة واطلبي الرحمة لتلك التي التقطت ذرتك الاولى من عالمها ، ثم اتخذت لك من حنايا ضلوعها سريراً قبل سريرك ، ومن احشائها مهاداً قبل مهادك ، والتي قدم الدهر لها كأسي شقائه ونعيمه ، فشربت الاولى وآثرتك بالثانية ..

« اذكري يا بنية ان تطلبي الرحمة لأبيك كما تطلبينها لأمك ، فهو احوج اليها منها لأن الخطايا قد اثقلت ظهره فاصبح لا يستطيع ان يرفع رأسه الى السماء ، وغلّت يده فلا يستطيع ان يمدها الى الله بالدعاء ..

« اطلبي الرحمة للبخيل الذي يجيع بطنه ويشبع صندوقه ، والاحمق الذي يبتسم للمعان الحرير في صدره والذهب في اصابعه ، والملك الذي يشعل نار الحرب في امته ليطفىء نار غضبه .. »

وكذلك نقل المنفلوطي الى العربية « تأبين فولتير » لفيكتور هيغو ايضا ( ٢ : ٣٦ ) « وسحر البيان » او خطابي بروتوس وانطونيوس في رواية يوليوس قيصر لشكسبير ( ٢ : ٢٠٢ ) .

**اسلوبه القصصي** : لم يكن المنفلوطي قصصياً ولكنه تعرض لكتابة القصص . اما قصصه فقسمان : بعضها منقول وبعضها موضوع . والمهم في قصصه هذه ليس الحوادث والسياق والمفاجآت والتحليل العاطفي او النفساني او العقلي ولا معالجة قضايا المجتمع ، فالمنفلوطي بعيد عن هذا كله ، ولكنه رجل منشىء « وضع بعض الموضوعات التي يعالجها عادة في اسلوب من اساليب السرد البسيطة فاتت قصصه مقالات طويلة تجري مجرى الحكاية ، يروعك منها الديباجة واللغة اكثر مما يروعك فيها الفن والحوار » .

اما القصص التي ترجمت له فسبكها هو باسلوبه الجميل فآراؤها ، على تصرفه فيها وصَرْف كثيرٍ منها عما اراده صاحبها الاصلي ، ليست له ولذلك لا نهتم الا باسلوبها

الذي لا يختلف عن اسلوب مقالاته في شيء .

واما قصصه الموضوعة ( وجميعها في كتاب العبرات ) فاكثر موضوعاتها مقتبسة من الروايات التي ترجمها او من بعض « مشاهداته الاجتماعية » اطال مقالاتها وسماها قصصاً .

وجميع قصصه هذه — سواء في ذلك الموضوع منها والمنقول — مآس ٍاو من نوع المآسي ولا تجد له قصة مفرحة ، وذلك بلا شك راجع الى اتجاهه العام في اختيار موضوعاته كلها . اما عناوين قصصه في العبرات فهي : اليتيم و ( الشهداء ) والحجاب و ( الذكرى ) والهاوية و ( الجزاء ) و ( الضحية ) ومذكرات مرغريت ( ؟ ) — فاذا قارنت عناوين القصص المترجمة وهي المحصورة بين الاهلة بعناوين قصصه الموضوعة رأيت شدة المطابقة بينها مما يدل على ان المنفلوطي ليس قصصياً بالمعنى المتواضع عليه بين مؤرخي الادب. ثم إن له قصة طويلة بعض الطول اسمها «الانتقام» نشرها في النظرات ثم نشرها مستقلة . وقصصه مقالات طويلة فيها شيء جيد من السرد وشيء قليل من الحوار .

وفيما يلي قطعة مأخوذة من «الشاعر اوسيرانودي برجراك» لا تكاد ترى فيها الا تراكيب عربية وتعابير لا تكاد توحي بان مادتها منقولة من لغة ثانية — وفيها بلا ريب مقدرة في التعبير وتصرف في النقل :

« فاطرق برأسه وصمت صمتاً طويلًا وقد اخذت شفتاه تختلجان وترتجفان كأنما تحدثه نفسه بشيء يحاول ان يقوله لها فلا يستطيعه. ثم تشجع وقال : بقيت لي كلمة احب ان اقولها لك يا سيدتي فهل تسمحين لي بها ؟ قالت : قل ما تشاء فاني مصغية اليك . قال : انني احببتك يا روكسان من عهد بعيد كما تعلمين ، وكان كل املي في حياتي ان اعيش بجانبك عيش القانع بك عن جميع متع الحياة ولذائذها ، فحالت بيني وبينك الحوائل التي تعلمينها . وقد كنت اظن انني سلوتك وغنيت عنك بغيرك ونفضت يدي ابد الدهر منك ، ثم ما لبثت ان علمت انني واهم فيما ظننت وان ذلك الداء القديم لا يزال كامناً بين احناء ضلوعي ، فسمج في نظري وجه الحياة ومر في فمي مذاقها ، واصبحت حائراً قلقاً لا يهدأ لي روع ولا يستقر بي مضجع ، ولا ادري حين

اراك واري ابتساماتك اللامعة المضيئة ونظراتك العذبة الجميلة هل تضمرين لي في قلبك من الحب مثل ما اضمر او انها المصانعة والمجاملة ومجازاة الود بالود والرجاء بالتأميل. وما زال هذا الشك يساورني ليلي ونهاري حتى رأيت الآن بعيني تلك الرجفة الشديدة التي سرت في اعضائك عندما انبأتك نبأ سفري فعلمت انك تحبينني . وما كشف اسرارَ الحب ولا هتك الستر عن مخابئه ومكامنه مثلُ مواقف الوداع ».

# سليمان البستاني

١٢٧٢ – ١٣٤٣ هـ . ١٨٥٦ – ١٩٢٥ م

## موجز ترجمته

ولد سليمان البستاني في قرية ابكشتين من قرى الشوف بلبنان في ٢٢ ايار ١٨٥٦ ، ودرس على بعض افراد اسرته كعبدالله البستاني . وكذلك درس ( ١٨٦٣ — ١٨٧٠ ) في المدرسة الوطنية في بيروت ، وكان يديرها نسيبه المعلم بطرس البستاني . وقد اظهر سليمان منذ حداثته ذكاء نادراً واتقاناً للغات غريباً .

وكثر تطوافه في البلدان الشرقية كالعراق والهند والعجم وتركية ومصر ، وفي اوروبة واميركة . واشتغل فيها جميعها بالتجارة والعلم احياناً ، وقد تقلب في مناصب عالية فكان مبعوثاً ( نائباً ) عن مدينة بيروت في مجلس الامة العثماني (١٩٠٨) ، وكان ايضاً عضواً في مجلس الاعيان . وكذلك مثل الدوله العثمانية مرات كثيرة لدى الحكومات الاوروبية . واخيراً اعتزل العمل واستقر في مصر ، وهناك فقد بصره فذهب ليداويه في نيويورك فادركته فيها المنون ( حزيران ١٩٢٥ ) . (١)

**عناصر شخصيته :** قال الاستاذ المقدسي ( ٢ ) ان سليمان البستاني كان عثمانياً صميما وكان يعتقد ان بين الاتراك والعرب سوء تفاهم يجب ان يزول حتى تصح الجامعة العثمانية ، ثم استشهد بقول البستاني نفسه في احدى خطبه اذ يقول : اقول لكم عن ثقة وعن يقين ان قولهم (اي قول بعض الناس) ان بين رجال الحكومة من الاتراك قوماً يكرهون العرب او يضطهدونهم وهم باطل اختلقه بعض اصحاب الاغراض والمفاسد » .

وكذلك ذكر بطرس البستاني (٣) ان سليمان البستاني « عُرف باخلاصه للدولة العثمانية ، والولاء للامة العربية والعصبية اللبنانية » ثم اخذته العزة بالقرابة فقال :« ولو وافقته ( الدولة العثمانية ) على اتباع خطة الاعتزال في الحرب لما انهار عرش بني عثمان » .

(١) تجد ترجمته الوافية في تاريخ الصحافة العربية ٢ : ١٥٩ — ١٦٨

(٢) العوامل الفعالة ٤٢ ، ٧٠

(٣) ادباء العرب ٣ : ٣٣٢

وكان البستاني بلا ريب اديبا بارعاً وعالماً ملما بالعلوم الطبيعية والاجتماعية وعارفاً بلغات كثيرة قديمة وحديثة ، شرقية وغربية نعد منها العربية والسريانية والتركية والفارسية واليونانية واللاتينية ثم الفرنسية والانكليزية وشيئاً من الالمانية والهندية. وكذلك كان خطيباً معدوداً .

**كتبه** : للبستاني شعر متفرق ، وله كتاب اسمه عبرة وذكرى يبحث في الاحوال السياسية في الامبراطورية العثمانية قبل الدستور وبعده ، وله مقالات متنوعة في مواضيع مختلفة . وكذلك ساهم في تأليف الجزأين العاشر والحادي عشر من دائرة المعارف التي بدأ تاليفها بطرس البستاني . وله ايضاً « الياذة هوميروس » نقلها من اليونانية وقدم لها مقدمة طويلة وعلق عليها شروحاً قيمة .

وكذلك له كتب لم تطبع .

## درس في ترجمة سليمان البستاني

## لالياذة هوميروس

تقوم شهرة سليمان البستاني على ترجمته للالياذة . والالياذة مجموع من الشعر في اربعة وعشرين نشيداً تضم نحو سبعة عشر الف بيت من الشعر ، او اقل قليلا . والالياذة واختها الاوذيسية من اقدم نماذج الشعر اليوناني ، وهما من شعر الملاحم، اي الشعر الذي يصف القتال والبطولة فيه .

واذا حاولنا ان ندرس ترجمة الالياذة وجب ان نرى فيها ثلاثة اوجه :

١ — المقدمة ( وهي موضوع درسنا ) .

٢ — الالياذة نفسها في ديباجتها العربية .

٣ — الحواشي والتعليقات .

وبما اننا نقصد درس مقدمة الالياذة فلنبدأ بالوجهين الآخرين ولنصرفهما بشيء من اليسر .

**الالياذة في ثوبها العربي :** ان القيام بنقل الالياذة من اللغة اليونانية الى العربية شعراً عمل جبار يحتاج الى مقدرة والى جلد عظيم. ولا شك في ان سليمان البستاني قد ادّى المعاني اليونانية الى العربية باخلاص ولكنه توسع في النظم ، فالالياذة اقل من ١٧،٠٠٠ شطر في اليونانية جعلها البستاني ١١،٠٠٠ بيتاً عربياً كاملا او ٢٢،٠٠٠ شطر .

اما من الناحية الفنية فالبستاني ليس شاعراً مطبوعاً ،ولا هو انصرف بكليته الى التثقف بالادب الخالص والتمرس بنواحيه والمران على انتاجه ،اضف الى ذلك كثرة اسماء الاعلام اليونانية المنافرة بصيغها ولفظها للبيان العربي . من اجل هذا لم يستطع ان يجعل ترجمة الالياذة عملا ادبياً بقدر ما استطاع ان يجعله عملا علمياً تاريخياً . ان سليمان البستاني قد وضع في المكتبة العربية نفيسةً يعتقد مؤرخو الغرب انها اعظم ما ابدعه خيال الشعراء في جميع الامم وفي جميع العصور . ولكن البستاني لم يكن في نقله الالياذة الى الشعر العربي شاعراً ، تأمل هذا المقطع وهو من اجمل مقاطع الالياذة وتأمل في ما حصر بين قوسين من ناحية الفن الشعري او التركيب اللغوي :

لَوْ تَرَبَّصْتَ والعَجاجُ (اُسْتَطَارَا) وَنجيعُ الدِمَاء سَالَ وَفَارا
( وَتَبَصَّرْتَ بابنِ تيذيس ) لم تدرِ ايُّ الجَيْشَيْنِ ( منه ) أغار
مُسْتَشِيطاً يَنْقَضُّ فوقَ الأَعادي يَنْهَبُ السَهْلَ ( بين عاد وغاد )
( كَخَلِيجٍ ) يضِيقُ بالسَيْلِ مجرا ه فيَسْتَأْصِلُ الجسور الكبارا .

قال في البيت الاول استطار وهو يقصد « ثار » لأن استطار معناها تفرق . اما « منه » في البيت الثاني و « فوق » و « بين عاد غاد » في البيت الثالث فمستعملة في غير وجوهها . فاذا صرفنا النظر عن « الجناس » بين قوله : عاد وغاد لم نعلم ماذا يقصد . اما البيت الرابع فلو قال فيه :

كانَ نَهراً (١) يَضِيقُ بالسَيْلِ مجرا ه فَيَسْتَأْصِلُ الجُسُورَ الكِبارا

(١) الخليج : النهر ، ولكن « النهر » افصح .

لكان اشعر في قوله وابلغ !

وهنالك ابيات كان تقويمها من حيث الشعر والبلاغة اسهل فقد قال :

فَتَلَتْهُ نِساءٌ وَبنات مِنهُ عِلماً تَتَقَصّى سائلاتْ

عَنْ أبيهن وإخوات ثِقاتْ

وبُعولٍ وأخِلاّ فامرْ أَنْ يُبادِرْنَ على ذاكَ الأثرْ

ويُصَلِّينَ لأربابِ البَشَرْ

عَلّها تَرفعُ عنهنّ الأذى ولزاهي قصرِ فِريامٍ مضى

هو صرحٌ شِيدَ بِالنَّحْتِ الجميلْ فوقَ ابوابِ رِواقٍ مستطيل

لبني فِريامَ شِيدَتْ مَضجعاً . . . . . . . .

ففي البيت الاول أخرّ « تتقصى » لغير ضرورة فلو قال : « تتقصى منه علماً سائلات » لاستقام له الوزن . اضف الى ذلك انه يجري الاناث مرة مجرى العاقلات ومرة مجرى غير العاقلات . وقال « إخْوات » بتسكين الخاء والصواب فتحها ، واجرى « ارباب » مجرى غير العاقل ،واستعمل شاد يشيد مرتين بمعنى « بنى يبني» وهو يقصد « شيّد » بتشديد الياء لان شاد معناها طلى ودهن . ونحن لا نذكر انه حذف همزة أخلاء ، وكسر همزة اخوات وحشى الشطر الخامس بكلمة « ذاك » الى آخر ما هنالك من المآخذ اللغوية والنحوية والبيانية .

على ان هذا لا يقدح في عمل سليمان البستاني ولا ينزع عنه فخر نقل الالياذة الى العربية ولا يحملنا على ان ننكر فضله ، ولكن الحق احق ان يقال ،والنقد الخالص لوجه الادب حلية للمنقود ، والتواضع واجب في مثل هذه الامور .

**الحواشي والتعاليق :** ولقد شرح سليمان البستاني في حواشي متن الالياذة كثيراً من العادات والحوادث ومن التراكيب والفاظ الاعلام، ووازن بينها وبين مثيلاتها عند العرب وخصوصاً في جاهليتهم. وكذلك قارن بعض الآراء الواردة في الالياذة

بآراء بعض الشعراء القدماء والمحدثين . ثم جعل لهذه الآراء والعادات والالفاظ فهارس تزيد في سهولة الوصول إليها على المراجع الدارس . على ان الكثيرين يخطئون اذ يغفلون عن قيمةِ هذه الشروح والحواشي حينما يتركون الكلام عليها بشيء من التوسع ، فان فيها جهوداً لا تقل عن الجهود المبذولة في ترجمة الالياذة نفسها .

**مقدمة الالياذة :** يهتم بعض المتأدبين بمقدمة الالياذة اهتماماً كبيراً ويعتقدون انها من اسس علم الادب الحديث . على ان المقدمة نفسها ليست احق من الشروح ولا من الالياذة نفسها بالدرس .

تقع مقدمة الالياذة في مائة واثنتين وتسعين صفحة (ص ٩—٢٠٠) وتنقسم كما يلي :

١ . هوميروس : ترجمته وآراء المتأخرين فيه من العرب وغيرهم ، وشعره (ص ٩—٣١)

٢ . الالياذة : موضوعها ونظمها والآراء فيها وتحليلها ، ثم انتشارها وموقف النصرانية والاسلام منها ( ص ٣٢—٦٨ )

٣ . حكاية المعرب في تعريب الالياذة من الناحية التاريخية والناحية الفنية مع التعرض لاساليب التعريب ( ص ٦٩—١٠٦ )

٤ . الالياذة والشعر العربي — وهذا الفصل يتناول على الحقيقة استعراض تاريخ الشعر العربي مع مقدمة في نشأة اللغة العربية وبقائها . ثم بعض الموازنه بين الشعرين العربي والافرنجي وبعض النقد ( ص ١٠٧—١٨٨ )

٥ . الخاتمة — في مقام الشعراء العرب والشبه بين اللغتين اليونانية والعربية من حيث الالفاظ والتعابير والعبقرية اللغوية (ص ١٨٩—٢٠٠) . وهذه الخاتمة في الحقيقة استدراك ما فات البستاني ذكره في الاقسام السابقة .

●

واليك الآن النقاط الخمس موجزة قدر الامكان :

١ — هوميرس لقب ، ولكن المؤرخين اختلفوا في معناه فقيل معناه الرهينة لأن هوميروس كان قد وقع اسيراً ، وقيل بل الخطيب ، وقيل الاعمى . وكذلك وقع

الاختلاف في اسمه ونسبه وزعم البستاني انه ابن احد الالهة(١). واولع هوميروس بالاسفار، ثم اصيب بالعمى فانصرف الى نظم الشعر واخذ يتكسب بانشاده في الاسواق. والمرجح ان هوميروس عاش في عصر «الشعراء العميان» بين ٨٥٠—٧٥٠ ق.م او بعد ذلك بقليل. وسليمان البستاني يرجح ان الشاعر عاش في اواخر القرن العاشر واوائل التاسع ق.م. ونال هوميروس حظوة لدى المؤرخين ومقاماً عالياً فاهتم به اليونان قومه والرومان حتى ان فرجيليوس نابغة الرومان نظم ملحمته «الانياذة» على نسق الياذة هوميروس. واهتم به الاوربيون في العصور الوسطى وفي العصور الحديثة كثيراً فنقلوا الالياذة الى لغاتهم. وقد نقلت الالياذة او بعضها الى الفارسية والسريانية. وعرف العرب مقام هوميروس في الشعر اليوناني ولكنهم لم يعرفوا شعره.

ويريد سليمان البستاني ان ينسب الالياذة والاوذيسية (ص ٢٩—٣٠،٣٢) الى هوميروس نفسه. ويرى ايضاً ان هنالك قصائد اخرى واناشيد تنسب الى هوميروس وليست له.

٢ — «الالياذة او الالياس نسبة الى إليون عاصمة بلاد الطراودة، وهي الملحمة التي وضعها هوميروس على اسلوب بسيط وبناها على موضوع واحد هو غيظ آخيل.. وكانت طروادة في جنوبي آسيه الصغرى، وكان ملكها فريام وقاعدتها اليون (او طرويا او طروادة ايضاً). وقد وقعت حرب بين بلاد الاغريق (اليونان) وبين اهل طروادة سببها «ان فريام (ملك طروادة) ارسل ابنه فاريس برسالة الى منيلاوس ملك اسبارطة (جنوبي اليونان)، وكان منيلاوس غائباً يومذاك عن عاصمة ملكه، فاحب فاريس هيلانة امرأة منيلاوس وحملها معه الى بلاده. ثارت القبائل اليونانية باجمعها والتفت قيادتها في الحرب الى اغاممنون (اخي منيلاوس) وحاربوا الطرواديين وانتصروا عليهم ثم حاصروا عاصمتهم اليون عشر سنوات حتى تمكنوا من فتحها خدعة».

هذا سبب الحرب، اما سبب نظم الالياذة فهو ان فتاة جميلة من السبايا كانت نصيب آخيل عنترة الاغريق فانتزعها منه آغاممنون زعيم الزعماء فغضب آخيل واراد

---

مقدمة الالياذة ٢٢

ان يقتل اغا ممنون لولا ان اثينا الاهة الحكمة هبطت من السماء وصدته قسراً ، فانكفأ عنه واعتزل القتال . فاعطى آخيل حينئذ سلاحه لصديق له اسمه فطرقل فقتله هكطور بن فريام. فحزن آخيل ثم صالح اغاممنون وعاد الى قتال الطرواديين وهزمهم وقتل هكطور ، ولكنه رق اخير لفريام فالقى اليه بجثة ابنه وسيّره آمنا فانتهت القصة بسلام .

ويرى البستاني ان الالياذة منظومة واحدة لهوميروس ولكنها قد لا تكون نظمت مرة واحدة. ولقد حفظت في اول امرها بالرواية من جيل الى جيل . والاغلب ان رواتها كثيرون كل كان يحفظ منها جزءاً «وكان ثمت رواة يونانيون عملهم حفظ الشعر وانشاده . ولجميع الامم « حفـــاظ للشعر » وكذلك كان في العرب رواة للشعر ايضاً .

ولعل اليونان بدأوا بتدوين الالياذة منذ اواسط القرن السابع ق.م . اما النسخة المعتمدة الآن فيرقى تاريخ تدوينها الاول الى القرن الثالث او الرابع للميلاد .

وهنالك قطع قليلة مفقودة من الالياذة يدل عليها تخلخل السياق ، وكذلك فيها ابيات محرفة او مصفحة ( وقع التبديل في معانيها او كتابة كلماتها ) . وفيها ايضاً ابيات منحولة ( دخيلة ) ليست منها ، وابيات مكررة . وقد ادى هذا كله الى اضطراب في المعنى احياناً .

ومنذ اواخر القرن السادس عشر للميلاد قام من ينكر ان تكون الالياذة من نظم شاعر واحد ،اولهم كازوبون ( ت ١٦١٤ م )ثم الراهب اوبنياق( ت ١٦٧٢ ) الفرنسيان ثم ود (ت ١٦٩٥)وبنتلي (ت ١٧٤٢) الانكليزيان«وتبعهم فيقو الايطالي ( ١٦٦٨—١٧٤٤ ) فاربى بكتابته على جميع من تقدمه . ولكن صاحب القـدح المعلى في هذا المضمار» كان أوغست فولف ففشا مذهبه في المانية وسائر اوربة .وخلاصة رأيه ان هوميروس ليس شخصاً تاريخيا وان الالياذة مجموع اشعار لشعراء مختلفين جمعت في القرن السادس ق.م. وفي اوائل القرن التـــاسع عشر قام أتفريد ملّر الالماني ( ت.١٨٤٠ م ) « فاثبت وجود هوميروس وان الالياذة من نظمه » .

وسليمان البستاني يأخذ برأي اتفريد ملر . ويحاول ان يبرهن على ذلك بان

خصائص ابطال الالياذة واحدة في جميع اقسامها ، وبان ناظمهـــا اكثر من ذكر الاماكن فيها ، وبان اجزاء الالياذه مرتبطة وبانها تحمل خصائص الادب والفلسفة اليونانية وبانها تضم معارف عصرها في التاريخ والجغرافيـة والطب والفلك والحرب والسياسة والحكومة والدين وسائر الاعمال والصنائع .

( وهذا البرهان منقوض بنفسه لسببين : اولهما اننا نحن لا نعرف هذه الخصائص الا من الالياذة نفسها ، فكيف يمكن ان تكون الدعوى دليلا على صدقهـــا هي نفسها ، وثانيهما ان الذي يقلد يحاول ان يحتذي خصائص الشيء الذي يقلده . )

ولقد عاشت الالياذة دون اشباهها لما فيها من صحة الشعر وبديع الخيال وشدة التأثير في النفوس ، وسهولة لغتها بالاضافة الى زمانها . وانتشرت الالياذة خـارج بلاد اليونان فنقلها الرومان الى لغتهم وترنموا بها وقلدها شاعرهم فيرجيليوس ونقلت كلها او بعضها الى الهندية والفارسية والسريانية والى الايطالية والفرنسية والالمانية والانكليزية ، مع العلم بان الكنيسة قاومت الالياذة اذ اتهمت هوميروس بتحريف التوراة وبوضع الخرافات الوثنيـــة ، ولذلك نادت الكنيسة بتحريم الالياذة خشية ان تفسد عقيـــدة الناشئة المتنصرة . الا ان كبار رجال المسيحية كانوا يتلونهـــا ويتدارسونها .

ومع ان العرب نقلوا كثيراً من علوم اليونان وفلسفتهم فانهم اهملوا نقل الادب اليوناني ، لغنى اللغة العربية بالشعر فليسوا بحاجة الى مزيد منه ولاعتدادهم ببلاغتهم حتى لا يرون للغة غير لغتهم فضلا . اضف الى ذلك جهل العرب للغة اليونانية وعجز النقلة السريان الذين استخدمهم العرب لنقل العلم عن نقل الشعر . ثم ان الصور الوثنية في الالياذة كانت مانعاً آخر دون نقلها الى العربية

٣ — حكاية المعرب في تعريب الالياذة — بدأ البستاني بنقل الالياذة عن الانكليزية والفرنسية ثم بدا له خطأ ذلك فتعلم اليونانية واتقنها واخذ ينقل الالياذة عن لغتهـا الاصلية . ورأى البستاني ان بعض الاعلام وبعض الصور غريبة عن القارىء العربي فوضع للالياذة شروحاً وحواشي . وهنا يعرض البستاني لاصول التعريب ويتكلم عن النقل والنقلة عند العرب ، ثم يبسط مسلكه في نقـــل الالياذة فهو لم يكتف

باستعمال بحر واحد من بحور الشعر ولا نوعاً واحداً ، بل نظم على اكثر البحور تامة او مجزوءة ولجأ الى انواع متعددة من التوشيح ، وخالف بين القوافي واطال القصائد او قصرها حسب الاغراض والمعاني. وكذلك حاول ان يحافظ على الاصل وأن يتجنب وحشي الكلام، وان يجد الفاظاً لما لامقابل له في العربية من الالفاظ اليونانية، ثم اتى بالاعلام اليونانية معربة قدر الامكان واعتمد بذلك رأي ابن خلدون (ص٨٥—٨٦). ثم انه تكلم على الاوزان والقوافي عند العرب والافرنج وعن جوازات الشعر . ولم يتكلف التجنيس ولكن وقع له منه شيء عفواً . وانهى البستاني الفصل بالكلام على انواع التوشيح التي استعملها .

٤ — الالياذة والشعر العربي — استعرض البستاني في هذا الفصل تاريخ الادب العربي منذ الجاهلية مع شيء من النقد والموازنة واتى بامثلة منه ، وتكلم على البيان والبلاغة في اللغة العربية . وليس في ايجاز هذا الفصل عظيم فائدة . ولكني ساوجز الآراء البارزة الخاصة بناقل الالياذة :

( أ ) « ان اللغة العربية اطول اللغات الحية عمراً واقدمهن عهداً والفضل في كل ذلك للقرآن . فالالياذة وبلاغتها وسائر منظومات هوميروس وهسيودس على علو منزلتها لم تقم للغة اليونانية دعامة ثابتة حتى في بلادها ولم تقو على مقاومة التيار الطبيعي . ولكن القرآن وطد اركان لغة قريش في بلادهم واذاعها في جميع البلدان العربية وسائر البلاد التي طال فيها عهد الاحتلال الاسلامي ، او حيث كثرت مخالطة العرب الضاربين في اقطار الارض للجهاد والتجارة ».

(ب) « وكانوا ( اي الجاهليون ) يسددون قولهم نحو كبد الحقيقة فلا يخطئونها ويقولون الشعر عن شعور حي ولا يتخطون الى ما وراء مشهودهم ومعقولهم فجاء شعرهم مثالا صادقاً لبداوتهم وحضارتهم . حتى لو اندثرت جميع اخبارهم وآثارهم وما بقي الا شيء من شعرهم لتيسر للباحث ان يستخرج منه وصفاً كاملًا لجميع احوالهم، كما استخرج الباحثون كثيراً من غوامض جاهلية اليونان من شعر هوميروس » .

( ج ) « وقد الحقتُ شعراء الدولة الاموية بالمخضرمين ، اولا — لان النغمة القرآنية اثارت نفوسهم اثارتها للمخضرمين لقرب عهدهم بها . فنفَس حسّانَ ونفس

الفرزدق واحد. وجرير يماثل كعب بن زهير ومثله الاخطل وان كان نصرانياً ».

( د ) « وقد بلغ المولّدون الدرجة القصوى من التصرف بالمعاني و ( من ) جزالة الالفاظ ودقة السبك ، فصعدوا بالشعر درجة لم يبلغها المتقدمون وهيهات ان يدركها المتأخرون .. ( ولكنهم ) يؤاخذون ولا سيما المتأخرين منهم على مغامز ترجع الى خلال اربع . ( ١ ) اقتضاب الوصف الشعري فلا تبرز الحقيقة على فطرتها في كثير من شعرهم .. الا قليلا كقول المتنبي : في الحد ان عزم الخليط رحيلا .. ثم ( ٢ ) تبذلهم في المديح حتى جعلوا الشعر صناعة للتكسب .. سوى افراد قلائل .. ثم ( ٣ ) ابتذال الغزل ووصف الغرام حيث لا محرك له الا التوطئة للمديح . فجاء اكثر ما نظم من هذا القبيل غير مثير للعاطفة ولا مؤثر في النفس وان كثر فيه الحنين والانين .. ولا يجب ان يستفاد مما تقدم اننا ننكر التوطئة على الاطلاق فانها اذا جادت ووقعت في موضعها ووافقت موضوعها فانها تشق شغـاف القلب .. كقصيدة ابي تمام: السيف اصدق ... ومما يحمد عليه المولدون توطئتهم للرثاء بالزهد واشباهه .. ثم ( ٤ ) تجاوزهم في المجون وبذاءة التعبير الى ما لا يستبيحه ادب المجالس .. وهذا ليس من بدع المولدين ، بل سبقهم اليه شعراء ( غيرهم ) .. وفي اهاجي جرير والاخطل والفرزدق ما لا يعد مفخرة لامثال اولئك الفطاحل .. واغرب من هذا ان كثيراً من تلك البذاءات ممتزج بدرر من المعاني .. واقبح من كل ذلك تشبيبهم بما لم يشرعه الله ولم يستق اليه طبع .. وانما هو بدعة اقتبسوهـا بملابسة المدنية الجديدة . فما اوغل امامهم ابو نواس في ذلك النهج البذيء حتى هبوا الى تحديه ( ومجاراته ) » .

بعدئذ يتعرض سليمان البستاني الى تفنن المولدين في الانتاج الادبي وايراد معانيه وتفريع اغراضه فيتكلم على المقامات والموشحات . ثم يقول : « ان المولدين .. طرقوا جميع ابواب الشعر ولكن قلما اقتصر الشاعر منهم في القصيدة الواحدة على باب واحد .. وربما جمع شاعرهم بين الغزل والحكم والامثال والزهريات والفخر والمدح .. وحسبك مثالا من ذلك قصيدة ابن الرومي أجنت لك الوجد اغصان وكثبانُ .. وهذا المنزع بعينه هو منزع هوميروس في الياذته. ولو لم تكن (قصيدة

ابن الرومي » خلية من اخبار الشعر القصصي لقلت هي شطر من تلك الملحمة التي خلب بها هوميروس عقول رواته وقرائه . وكأني بابن الرومي وفيه لمحة من كنيته التي كان يعيَّر بها في زمانه الى جرثومة من اصله او عِرفانه كانت تحمله على تحدي هوميروس في كثير من اساليبه ومعانيه وتشبيهاته » . ثم يتكلم سليمان البستاني على علوم الادب عند المولدين كالعروض والبديع والبيان ..

بعدئذ يتكلم على الملاحم او منظومات الشعر القصصي ويتعرض لضروب الشعر عند الافرنج ، وقد جعله ثلاثة اقسام : الشعر القصصي والموسيقي والتمثيلي ، وهو مصيب في جعله الشعر الموسيقي ( الوجداني )متقدماً على الشعر القصصي ( الملاحم). ثم يقول :

ونحن اذا اعتبرنا إنه كان لكل شـــاعر عربي شيطان ، واذا نظرنا الى كثرة الحروب في الجاهلية خاصة والى ابطال العرب كعنترة والىزعمائهم ومشايخهمرأيناهم قريبي الحال من اليونان في جاهليتهم ، ورأينا هذه الخصائص التي خلقت الملاحم في الادب اليوناني القديم . فاذا اخذنا حرب البسوس مثلا وجدناها قريبة الشبه بحرب طروادة ، ووجدنا ان كل قطعة شعرية قيلت فيها كانت قطعة من ملحمة . وبما ان اكثر الذين اشتركوا في تلك الحرب كانوا يقولون الشعر بانٍ لك فضلهم على ابطال اليونان الذين كان هوميروس يقول الشعر على لسانهم . ولكن « لا سبيـل للزعم بوجود ملاحملعرب الجاهلية علىنحو ما يراد منها بعرف الافرنج . ولكن للجاهليين نوعاً آخر من الشعر القصصي مما يعز وجوده في سائر اللغات وذلك في الملاحمالقصيرة المقولة في حوادث مخصوصة فجميع شعراء الجاهلية وبعض المخضرمين قد سلكوا هذا المسلك واجادوا فيه .. فالمعلقات اذن رأس الملاحم العربية .. وللمولدين نوع من الملاحم خاص بهم وهو المقامات .. ويلحق بها القصص التي يمتزج فيها الشعر والنثر كقصة عنترة .. وان من احسن ملاحم المولدين ملحمة نثرية .. هي رسالة الغفران للمعري » .

وفي آخر هذا الفصل يتكلمعلى الحقيقة والمجاز واوجه البلاغة ويوازن بينما عرفه العرب وما عرفه اليونان منها ، ويشير الى اثر الحضارة في تهذيب الاذواق . ثميدل

على فضل اللغة العربية على لغات الافرنج في هذا الباب .

**خصائص سليمان البستاني الفنية:** كتب سليمان البستاني مقدمة الالياذة باسلوب عادي سهل لا تكلف فيه ، كان اقرب فيه الى اسلوب البحث العلمي منه الى اسلوب الزهو الادبي : الالفاظ فصيحة والتراكيب صحيحة ، ولقد ابتعد في كتابته هذه عن جميع انواع المحسنات المعنوية واللفظية الا ما وقع له في اثنائها عفواً .

وليست الديباجة ما امتاز به سليمان البستاني على سائر معاصريه ولكنه امتاز بخصائص معنوية كحسن العرض واستجماع القول والتسلسل المنطقي ( الا في اماكن اضطر ان يذكر فيها حقائق متشابهة او معادة) . ثم هنالك الثقافة والاطلاع وحسن المعرفة التي تشيع في كتابته فترفعها الى رتبة « المراجع الادبية » في الموضوعات التي يتناولها . انه يكتب للجدوى لا للتسلية . وهو لا يعتمد في ما يكتب على خياله وعلى مقدرته اللغوية او الادبية فحسب ، بل يبني كتابته على نتـــائج البحث المستقصي والجهود الطويلة وعلى تنسيق هذه النتائج والجهود في اسلوب « ذي طابع علمي » لا يطرب له الا الرجل المثقف الداري الذي يقدُر العلم والثقافة والبحث قدرها .

ان قيمة اسلوب سليمان البستاني ليست في اجادة التعبير عما اراده بقدْر ما هي في تلك الاغراض التي اجاد التعبير عنها .

١٣٦٣/٥/٢

١٩٤٤/٤/٢٥

٢٢ شعبان ١٣٧١ = ١٦ / ٥ / ١٩٥٢

# الفهرست

# نخبة من دراسات وكتب

## للدكتور عمر فروخ

عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي
استاذ الفلسفة الاسلامية والادب العربي
في كلية المقاصد الاسلامية في بيروت

| دراسات قصيرة | | الثمن بالقرش اللبناني |
|---|---|---|
| ١ – الحجاج بن يوسف | ( الطبعة الثانية ) | ٤٠ |
| ٢ – عمر ابن ابي ربيعة | ( الطبعة الثانية ) | ٧٥ |
| ٣ – عبد الله بن المقفع | ( الطبعة الثانية ) | ٤٠ |
| ٤ – الرسائل والمقامات | ( الطبعة الثانية ) | ١٠٠ |
| ٥ – ابن الرومي | ( الطبعة الثانية ) | ٥٠ |
| ٦ – احمد شوقي | ( الطبعة الثانية ) | ٦٠ |
| ٧ – ابن خلدون | ( الطبعة الثانية ) | ٥٠ |
| ٨ – اثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الاوروبية | | |
| ٩ – شعراء البلاط الاموي | ( الطبعة الثانية ) | ١٢٥ |
| ١٠ – الفارابيان : الفارابي وابن سينا | ( الطبعة الثانية ) | ١٠٠ |
| ١١ – اربعة ادباء معاصرون | ( الطبعة الثانية ) | ١٠٠ |
| ١٢ – خمسة شعراء جاهليون | ( الطبعة الثانية ) | ١٥٠ |
| ١٣ – بشار بن برد | ( الطبعة الثانية ) | ١٢٥ |
| ١٤ – نهج البلاغة | | ٥٠ |
| ١٥ – اخوان الصفا | | ٢٥٠ |
| ١٦ – ابن باجه | ( الطبعة الثانية ) | ١٠٠ |

| دراسات قصيرة | الثمن بالقرش اللبناني |
|---|---|
| ١٧ ــ ابن طفيل | ١٢٥ |
| ١٨ ــ التصوف في الاسلام | ٢٠٠ |
| ١٩ ــ الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب | ١٥٠ |
| ٢٠ ــ موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الاسلامية | ١٠٠ |

## دراسات أخر

| | | |
|---|---|---|
| ابو نواس ــ دراسة ونقد | ( الطبعة الثالثة ) | ١٥٠ |
| ابو نواس ــ مختارات | | ٥٠ |
| ابو تمام | | ١٠٠ |
| حكيم المعرة | ( الطبعة الثانية ) | ٢٠٠ |
| عبقرية العرب في العلم والفلسفة | ( الطبعة الثانية ) | ٣٠٠ |
| الاسلام على مفترق الطرق | ( الطبعة الثالثة ) | ١٥٠ |
| نحو التعاون العربي | | ( نفد ) |
| دفاعاً عن الوطن | | ٥٠ |

600 — Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Higra bis zum Tode 'Umars, 1 - 23 d. H. ( 622 - 644 n. Ch. Leipzig 1937,

| | |
|---|---|
| باكستان دولة ستعيش | ١٥٠ |
| الاسرة في الشرع الاسلامي | ٤٠٠ |
| الاسئلة الثلاثة ( مشهد تمثيلي للمدارس ) | ٢٥ |